الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: ط(1) 171733064508

ط(2): 073086793

السلطة العثمانية وعلاقتها بمنطقة الزواوة في عهد الإمارة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في: شعبة تاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبة: **إشراف الدكتور: بركات إسماعيل**

-مخلوف فاطنة

لجنة المناقشة			
اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
د-بركات إسماعيل	دكتور	المسيلة	المشرف
أ-د فتح دين بن أزواو	أستاذ- دكتور	المسيلة	الرئيس
أ-عبد الحليم مرجي	أستاذ	المسيلة	الممتحن

السنة الجامعية: 2024-2025

قال الله تعالى: " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"

الزمر 9.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طريقًا إلى الجنَّةِ".

حديث صحيح

شكر وعرفان

أولا الحـمد لله الـذي تتم بنعمته الصـالحات

والحــمد لله الــذي وفقنا لإتمـــام هذا البحـــث

ونتـوجه بجزيـل الشكر للأستاذ "بركات إسماعيل"

علــى ما قدمـه بإشر افـه على هذا البحـث.

و أتـوجه بالشـكر لكـل من سـاعدنا في هذه الدراســة

مــن قريب ومن بعـــيد.

الإهداء

أهـــــدي ثمـــرة جـــهدي إلـــــى:

*روح أبـــــي الطاهـــرة رحمـــــه اللـــــه.

*إلـــــى أمـــي التـــي كانـــت لي سندا في كل خطوة خطوتهـــا في حـــياتي.

*إلـــــى منبـــع سعادتـــي عائلتـــي الصـــــغيرة:

أنـس، يـوسف، حـذيفة، مـحمد وسيم

*إلـــــى مـنبع اعتـزازي وسـتندي فـــتي الحياة إخـــوتي كل باسمـــه.

فاطنة

قائمة المختصرات

أولا: باللغة العربية

الرمز	الدلالة
ط	صفحة
تر	ترجمة
م	ميلادي
هـ	هجري
د.م.ج	ديوان المطبوعات الجامعية
تح	تحقيق
د.ط	دون طبعة
تع	تعريب
تق	تقديم
ج	جزء

ثانيا: باللغة الفرنسية

p	**page**
o.p.c.t	**Ouvrage précédem**

مقدمة

مقدمة

شهدت منطقة زواوة خلال القرنين العاشر والحادي عشر هجري (16م–17م) أحداثا سياسية وعسكرية بالغة الأهمية، خاصة بعد تنامي التهديد الإسباني واحتلاله لعدة ثغور جزائرية، وظهور قوى محلية نافذة تجسدت أساسًا في إمارة كوكو وبني عباس، في سياق ضعف الدويلات المحلية آنذاك. وقد أفرز هذا الواقع الجديد ديناميكيات جديدة في العلاقة بين الدولة العثمانية التي بدأت ترسّخ وجودها بالمنطقة، وبين الزعامات المحلية التي حاولت الحفاظ على استقلالها النسبي وسط تحولات سياسية كبرى في حوض البحر الأبيض المتوسط.

لقد تم اختياري لهذا الموضوع بناءً على توصية من الأساتذة المشرفين، كما فرضته الرغبة الشخصية في فهم طبيعة العلاقة بين القوة المركزية العثمانية والقوى المحلية، وتحديدا إمارة كوكو وبني عباس، باعتبار أن هذه العلاقة لم تكن ثابتة بل تأرجحت بين التحالف والصراع، وبين التعاون والندية. إضافة إلى ذلك، فإن قلة الدراسات المفصلة التي تناولت هذا الجانب في تاريخ الجزائر دفعت إلى محاولة سد هذه الثغرة البحثية، خاصة أن أغلب المصادر ركزت على العلاقة بين الجزائر والدولة العثمانية من منظور مركزي دون التركيز الكافي على الأطراف.

تكمن أهمية الموضوع في أنه يسلط الضوء على مرحلة انتقالية حساسة من تاريخ الجزائر تُبرز مدى تعقّد العلاقات السياسية بين السلطة العثمانية والإمارات المحلية، ومدى تأثير الزعامات الإقليمية في إعادة تشكيل المشهد السياسي في المنطقة، خاصة أن هذه القوى لعبت أدوارًا محورية في مقاومة الاحتلال الإسباني من جهة، وفي تحديد طبيعة العلاقة مع العثمانيين من جهة أخرى.

وبناءً على ذلك، فإن الإشكالية الأساسية التي أسعى للإجابة عنها تتمثل في :ما طبيعة العلاقة التي ربطت السلطة العثمانية بإمارتي كوكو وبني عباس في منطقة زواوة خلال القرنين 10هـ/16م–و11هـ/17م؟

وتنبثق من هذه الإشكالية جملة من الأسئلة الفرعية، أبرزها:

- ما هي الظروف العامة التي دفعت سكان الجزائر، وخاصة منطقة زواوة، إلى الاستنجاد بالأخوين بربروس؟
- كيف تشكلت إمارتا كوكو وبني عباس؟ وما خصائص بلاد زواوة من حيث الجغرافيا والديمغرافيا؟
- ما هي الوسائل التي اعتمدها العثمانيون لبسط نفوذهم على هذه المنطقة؟
- ما طبيعة تطور العلاقة بين السلطة العثمانية وهذه الإمارات المحلية؟ وما مآلاتها؟

لمعالجة هذه الإشكالية، إعتمدت على المنهج التاريخي التحليلي، الذي يعتمد على تتبع الأحداث والوقائع التاريخية وتحليلها في سياقها الزمني والسياسي، مع المقارنة بين الروايات المختلفة ومحاولة تأويلها وفق معطيات المرحلة، وذلك اعتمادًا على مصادر أولية وثانوية عربية وأجنبية.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، جاءت كما يلي:

- الفصل التمهيدي: يتناول السياق العام الذي مهد لتدخل العثمانيين في الجزائر والاحتلال الإسباني للثغور.
- الفصل الأول: يتناول نشأة إمارة كوكو وبني عباس، مع تقديم عام لبلاد زواوة من حيث الجغرافيا والبنية الاجتماعية.
- الفصل الثاني: يدرس سلوك السلطة العثمانية في تعاملها مع القوى المحلية، مع التركيز على العلاقات التي ربطتها بإمارتي كوكو وبني عباس، والتحولات التي طرأت عليها عبر مراحل زمنية متعاقبة.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على جملة من المصادر والمراجع نذكر من أبرزها:

- مذكرات خير الدين بربروس، والذي ترجمه محمد دراج. الذي تناول سيرة نشاط الاخوة بربروس الحوض الغربي للمتوسط ودخولهم مدينة الجزائر.

- كتاب إفريقيا للمؤرخ الإسباني مارمول كربخال، والذي كان معاصرا لأحداث القرن السادس عشر.
- كتاب غزوات خير الدين لمؤلف مجهول الذي يعد من أهم المصادر التي تطرقت لأهم الأحداث لتلك الفترة.

أما فيما يتعلق بالمراجع، نذكر منها:

- كتاب تاريخ الجزائر خلال العهد التركي 1514-1820 لصاحبه صالح.
- وكتاب حرب الثلاثمائة عام بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792 لصاحبه أحمد توفيق المدني.
- بالإضافة الى الرسائل الجامعة.

أما الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث فيمكن حصر بعضها في النقاط التالية:

-شح المادة العلمية التي تتكلم حول موضوع الدراسة وصعوبة الوصول إليها.

-تضارب المعلومات والآراء حول تاريخ المنطقة

-معظم المصادر والمراجع مكتوبة باللغة الفرنسية وترجمتها ليس بالأمر الهين.

الفصل التمهيدي:

1-الحالة السياسية للمغرب الأوسط قبل الدخول العثماني

2-الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية خلال القرن 16

3-ظهور آل بربروس ومحاولة تحرير سواحل بجاية

4-استنجاد أهالي الجزائر بالإخوة بربروس

5-إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية

الفصل التمهيدي: أوضاع الجزائر قبل الدخول العثماني

1-الحالة السياسية للمغرب الأوسط قبل الدخول العثماني

مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي، دخل المغرب الإسلامي مرحلة من الاضطراب والتفكك السياسي عقب انهيار دولة الموحّدين، التي كانت آخر قوة موحدة في المنطقة. ومع زوال سلطانها، فقد المغرب الإسلامي وحدته السياسية، وتوزّع إرث الدولة الموحّدية بين ثلاث قوى إقليمية كبرى.

ففي تونس، برز الحفصيون ليبسطوا نفوذهم على المغرب الأدنى الممتد من إقليم طرابلس الغرب شرقًا وصولًا إلى نواحي دلس غربًا. وفي تلمسان، نشأت الدولة الزيانية (بنو عبد الواد) لتسيطر على المغرب الأوسط من ربوع مدينة الجزائر وما جاورها. أمّا في المغرب الأقصى فقد تولّى المرينيون مقاليد الحكم، محكمين سيطرتهم على الأراضي الممتدة من غرب نهر ملوية حتى ربوع منطقة السوس[1].

2-الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية خلال القرن 16

شهدت بلاد المغرب الإسلامي خلال فترة ضعف دولة بني زيان حالة من التدهور السياسي والعسكري انعكست آثارها بوضوح على الجزائر. فقد انقسمت البلاد إلى إمارات صغيرة متناحرة، غلب عليها الصراع الداخلي والتفكك، بدل الانشغال ببناء القوة والدفاع عن الأرض. واستمر هذا الوضع الهش طوال الفترة الممتدة من القرن الخامس عشر الميلادي إلى مطلع القرن السادس عشر.[2] وفي خضم هذه الفوضى والاضطراب، بدا المغرب الأوسط الحلقة

[1] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، ط 2، الجزائر، ص 11.

[2] صارة العيدودي، نبيل عبادية، النظام العسكري العثماني في الجزائر (1518-1830م)، قسم العلوم الإنسانية، جامعة تبسة، 2007، الجزائر، ص 12.

الأضعف في السلسلة، الأمر الذي أتاح لإسبانيا فرصة سانحة لتوجيه حملاتها العسكرية نحو سواحله، مستغلة بذلك حالة الانقسام والضعف التي كانت سائدة.[1]

غير أنّ إسبانيا، وقبل مباشرتها لعمليات الغزو الفعلي، وجدت نفسها في صدام مباشر مع الأطماع البرتغالية التي كانت تسعى هي الأخرى للسيطرة على السواحل المغاربية. وقد أدى هذا التنافس الحاد إلى تدخل البابا ألكسندر السادس، الذي رعى اتفاقية توردیسیلاس سنة 1494م، تلتها معاهدة فيلا فرانكا، واللتان أسفرتا عن تقسيم مناطق النفوذ بين القوتين الإيبيريتين، بحيث آلت مستعمرات شرق الجزائر وتونس وطرابلس إلى إسبانيا.[2] بدأ الإسبان تحركاتهم التوسعية في المغرب الأوسط باحتلالهم مدينة المرسى الكبير سنة 1505م، وهو أحد أبرز الموانئ الإستراتيجية على الساحل. وقد شكّل ذلك أولى محطاتهم لبسط النفوذ في المنطقة. وما لبثت أنظار قادتهم أن توجّهت نحو وهران، التي سقطت بأيديهم سنة 1509م أعقبها استيلاؤهم على بجاية سنة 1510م .وهكذا انتقل الإسبان من نصر إلى آخر، مما أرغم عدداً من المدن الساحلية مثل تنس ودلس وشرشال والجزائر ومستغانم على إعلان خضوعها للسيادة الإسبانية.

3-ظهور آل بربروس ومحاولة تحرير سواحل بجاية:

وفي خضم اشتداد الهجمات الإسبانية على سواحل الشمال الإفريقي عمومًا، والسواحل الجزائرية على وجه الخصوص، ومع ضعف المقاومة المحلية وغياب السلطة الزيانية، برزت الحاجة الملحّة إلى قوة جديدة تتولى قيادة حركة التحرير ومجابهة النفوذ الأجنبي. وفي هذا السياق، ظهر الإخوة **بربروس** الذين نشأوا نشأة إسلامية في بيئة مشبعة بروح الجهاد، وتمكنوا

[1] وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر، عبد القادر زيايدية، دار القصبة للنشر، حي السعيد حمدين، الجزائر، 2006، ص 34.

[2] أمال جعدي، أمينة نجار، القوى المحلية وموقفها من إلحاق الدولة العثمانية آل القاضي وبني عباس نموذجا (1510-1587م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة البويرة، 2017-2018، ص ص4-5.

من بناء أسطول بحري قوي، استطاعوا بواسطته إلحاق هزائم متتالية بالقوات النصرانية وفرض حضورهم كقوة دفاعية حاسمة في المنطقة.[1].

بعد أن أصدر السلطان العثماني سليم الأول أوامر صارمة تقضي بمنع الإبحار على سواحل الأناضول، اضطر الإخوة بربروس إلى تحويل نشاطهم البحري نحو الغرب. فتوجّهوا إلى **تونس** للقاء سلطانها أبي عبد الله محمد الحفصي (1494م–1526م)، حيث قدموا له الهدايا وعرضوا عليه طلبا بتخصيص موضع يتخذونه مركزًا لانطلاقهم. وقد استجاب السلطان لهذا الطلب، مشترطا أن يدفعوا له خُمس الغنائم التي يحصلون عليها من حملاتهم البحرية[2].

أ–المحاولة الأولى لتحرير بجاية 1512

مع تزايد شهرة الأخوين عروج وخير الدين بربروس بفضل ما حققاه من انتصارات بحرية ضد الإسبان، رأى سكان بجاية في عام 1512م أن يستنجدوا بهما لمساعدتهم على تحرير مدينتهم من الاحتلال الإسباني. استجاب الأخوان لهذا النداء، فاتجها نحو نواحي بجاية واتخذا موقعًا قريبا منها، حيث عملا على جمع المعلومات اللازمة حول أوضاع الجيش الإسباني وهو ما أتاح لهما إعداد خطة عسكرية محكمة تهدف إلى طرد المحتل واستعادة السيطرة على المدينة[3]، بادر العلماء والأعيان من سكان بجاية إلى تشكيل وفد قصد مقابلة عروج بربروس مناشدين إياه التدخل لإنقاذ مدينتهم من قبضة الإسبان. وقد لبّى عروج هذا النداء، فاستجاب لطلب الأعيان الذين تواصلوا معه في حلق الوادي حيث كان يعسكر. وهناك جمع قوته البحرية بمعية أخيه خير الدين، وهي مكونة من خمس سفن، وأبحرا معًا نحو بجاية في الأول من أوت 1512م، ليشرعا فور وصولهما في محاصرة القلعة التي كانت معقل الإسبان.[4]، أما الأسطول الإسباني الذي أُرسل للقضاء على تحركات الأخوين بربروس، فقد بادر إلى تعقبهم فور علمه

[1] بن قومار ثريا، الدخول العثماني للجزائر والمواقف المحلية (1514م–1600م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص المغرب العربي الحديث، قسم التاريخ، جامعة غرداية، 2020، ص ص 17–18.

[2] محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512–1543م، دار الأصالة للنشر والتوزيع، ط1، 2012، ص ص 182–183.

[3] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية لنشر، الجزائر، ج3، ص 35.

[4] كليل صالح، خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة العقيد حاج لخضر، باتنة، 2006، ص 174.

بتوجههم نحو بجاية حتى أدركهم عند سواحلها. وهناك وجد الإخوان نفسيهما في موقف حرج إذ كانا محصورَين بين سفن الإسبان من جهة وحامية المدينة من جهة أخرى، الأمر الذي جعل الاشتباك المباشر محفوفًا بالمخاطر. لذلك قررا في البداية الابتعاد عن الساحل، مما أوحى للإسبان بأنهما في طور الفرار. غير أنّ عروج سرعان ما قلب الموازين، فأصدر أوامره بشن هجوم معاكس باغت به السفن الإسبانية وأربك صفوفها[1]، غير أنهم لم يحققوا النجاح المنشود نتيجة قوة التحصينات الإسبانية وتعاون أمراء قلعة بني عباس معهم[2] ،خلال الاشتباك مع الإسبان جُرح عروج إصابة خطيرة أثناء محاولة اقتحام المدينة، واضطر المعالجون إلى قطع ذراعه بعدما استعصى علاجها [3].

لم ينجح الإخوة بربروس في تحرير بجاية خلال هذه المحاولة، غير أنهم تمكنوا من اختبار قدرتهم على مواجهة الإسبان. ورغم الفشل، فقد أثارت هذه التجربة إعجاب زعماء القبائل البربرية الذين عاينوا عن قرب شجاعة الأتراك وكفاءتهم القتالية وانضباطهم العسكري [4].

ب-المحاولة الثانية لتحرير بجاية 1514

بعد أن استقر عروج وإخوته في مدينة جيجل، أولوا اهتمامهم بقضية المسلمين المضطهدين في الأندلس، فكانوا يترددون بأسطولهم على سواحلها لنقل المهاجرين إلى شمال إفريقيا وتأمين سلامتهم. ولم يقتصر نشاطهم على ذلك، إذ بادر خير الدين إلى شن غارات على جزر البليار، حيث تمكن من أسر ما يقارب ستة آلاف إسباني، في خطوة انتقامية من الإسبان وردٍّ على ممارساتهم ضد المسلمين[5].

[1] محمد دراج، المرجع السابق، ص 174

[2] قلعة بني عباس: تقع في جبال عالية ووعرة شديدة الانحدار متصلة بالأطلس تقع على بعد حوالي خمسة عشر فرسخا من بجاية ينتسب سكانها إلى الزواوة، للمزيد من التفاصيل ينظر إلى: مارمول كربخال، افريقيا، د.ط، ج2، تر: عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، دار النشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1989، ص 373.

[3] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، د.م، ج، ط2، ج2، ص 11.

[4] محمد دراج، المرجع السابق، ص 175.

[5] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 153.

وقد دفع إعجاب الأهالي بشجاعة عروج وكفاءته القتالية إلى مبايعته أميرا عليهم، وتعهدوا بالسير خلفه في ميادين الجهاد دفاعا عن المدن الإسلامية وإنقاذها من الخطر الإسباني. وبفضل ذلك تمكن عروج من تشكيل جيش منظم، أحسن إعداده وتدريبه على استعمال الأسلحة الحديثة، كما نال دعمًا وتأييدًا من الشيخ أحمد بن القاضي الذي وعده بالمساندة في مسعاه[1].

في صيف سنة 1514م جهز الأخوان بربروس حملة عسكرية قوية ضمت اثنتي عشرة سفينة حربية على متنها نحو 2000جندي من البحارة الأتراك المزودين بالبنادق والمدافع، وقد ساندهم في هذه الحملة ما يقارب 20ألف مقاتل من رجال القبائل الذين وفدوا من مختلف نواحي بجاية استجابة لنداء الجهاد.[2]، أحاط بالمدينة ودخل في مواجهة عنيفة مع الحامية الإسبانية في معركة قاسية وشرسة [3] ، سعى عروج إلى اقتحام القلعة الخارجية التي مثّلت خط الدفاع الأول للمدينة، وبعد قتال متواصل دام أربعة أيام تمكن مع رجاله من السيطرة عليها والقضاء على معظم أفراد الحامية الإسبانية وأسر نحو 500جندي منهم. أعقب ذلك فرض حصار شديد على القلعة الداخلية، التي كانت أكثر تحصينًا وفتحها بالغ الصعوبة، فاستمر الأتراك في قصفها بالمدفعية مدة عشرين يومًا متتالية .غير أن نفاد البارود أضعف قدرتهم على مواصلة القتال، فالتجأ عروج إلى طلب المساعدة من السلطان الحفصي في تونس، إلا أن الأخير تجاهل مطلبه. ومع وصول الإمدادات الإسبانية إلى الحامية المحاصَرة في بجاية وجد عروج نفسه مضطرًا إلى الانسحاب برًّا نحو جيجل، وأمر بإحراق سفنه حتى لا تقع في أيدي الإسبان[4].

4-استنجاد أهالي الجزائر بالإخوة بربروس:

بعد إخفاق الأخوين عروج وخير الدين بربروس في تحرير بجاية، شرعا في الإعداد لحملة جديدة، فعملا على جمع السفن وتجهيز المدافع الضخمة وتوفير الزاد الوفير، بالإضافة

[1] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792)، عالم المعرفة لنشر، الجزائر، 2010، ص 153.

[2] محمد دراج، المرجع السابق، ص 179.

[3] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 153.

[4] محمد دراج المرجع السابق ص ص 179-180.

إلى ما يلزم من أسلحة وذخائر تكفي لحملة طويلة الأمد. وبينما كانا في ساحة جيجل، قدم وفد من مدينة الجزائر يشكو ما آلت إليه أوضاع مدينتهم، مؤكّدين إخلاص شيخها سالم التومي واستعداده لتقديم العون في سبيل إنقاذ البلاد من الخطر الإسباني الذي ظل جاثمًا عليها منذ أن اضطر أهل الجزائر إلى تسليم حصن الصخرة (البنيون) للإسبان سنة 916هـ/1510م[1].

جهّز عروج بربروس 16سفينة مزوّدة بمدافعها وذخائرها، وأرسلها مع نصف قوته عبر البحر، وفي طريقه انضم إليه نحو خمسة آلاف مقاتل من رجال القبائل، مما عزّز قوته العسكرية. وبفضل هذا الدعم، دخل عروج مدينة **الجزائر** حيث خرج لاستقباله الأمراء والأعيان والعلماء وجموع الأهالي على مشارف المدينة، مرحّبين به ترحيبًا حارًا ومعلنين تأييدهم له[2] وتوجّه عروج مباشرة إلى مدينة شرشال فحررها، سعيا منه إلى إيجاد ملجأ آمن قريب يؤوي جنوده من جهة، ولتعزيز الانسجام بينهم وبين السكان المحليين من جهة أخرى. كما أراد من خلال ذلك كسب بعض الوقت في انتظار وصول القوة البحرية التي يقودها شقيقه خير الدين والذي كان قد انطلق من جيجل بعد أن أبقى فيها حامية قوامها 300رجل[3].

أشرف الكاردينال خيمينيس في سبتمبر 1516م على إعداد حملة جديدة ضد مدينة الجزائر، فجهز قوة بحرية تتألف من نحو 35مركبا تحمل حوالي 300جندي، نزلت عند ميناء الجزائر في ناحية باب الواد .وهناك اندلعت المعركة بين الطرفين، وتمكن المسلمون من إلحاق الهزيمة بالإسبان وإجبارهم على التراجع. وقبل أن يتمكنوا من استكمال انسحابهم، باغتهم عروج بربروس بهجوم خاطف، فألحق بهم خسائر إضافية، وانتهت المواجهة بانتصار المجاهدين. [4]، بعث عروج بربروس برسالة إلى السلطان سليم الأول يبلغه فيها بالانتصار الذي حققه، وبأنه قد وضع مدينة الجزائر تحت الحماية العثمانية. كما وجّه نداء إلى قادة الأساطيل

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 157.

[2] محمد دراج، المرجع السابق، ص 189.

[3] كليل صالح، المرجع السابق، ص ص 93-94.

[4] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 183.

البحرية الذين لم تكن لهم مهام قائمة، داعيًا إياهم إلى الانضمام إليه والمشاركة في الدفاع عن الإسلام [1].

5-إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية

وبعد أن استتب الأمن نسبيًا في مدينة الجزائر، قرر خير الدين بربروس توسيع نفوذه نحو الجهة الشرقية، فاتخذ من دلس مقرًا له، في حين تولى عروج بسط سلطته على الجهة الغربية. وفي تلك الأثناء، قدم وفد من أهل تلمسان إلى عروج، ملتمسين منه التدخل لإنقاذهم من ظلم ملكهم. [2] وقد استجاب عروج بربروس لندائهم، غير أن الإسبان سرعان ما حاصروه في قلعة بني راشد، حيث لقي حتفه هو وأخوه إسحاق سنة 1518م.

أدرك خير الدين بربروس بعد وفاة شقيقه عروج خطورة الموقف، وأن الإسبان لن يكتفوا بمقتله بل سيعملون على إعادة احتلال الجزائر. وكان واعيًا بهشاشة الكيان السياسي الذي أقامه في ظل الاضطرابات التي شهدتها المنطقة. لذلك، وما إن انتهى من تحصين المدينة، حتى دعا علماءها وأعيانها وأبلغهم بأن مهمته قد انتهت هناك، مؤكّدًا عزمه على مواصلة مسيرته الجهادية في سبيل الله[3]، وطلب منهم أن يختاروا أحدهم أميرًا يتولى شؤونهم، وأن يعلنوا تبعيتهم للسلطان العثماني، باعتباره الجهة الوحيدة القادرة على إمدادهم بالمال والرجال[4] فاستحسنوا رأيه وأبدوا موافقتهم عليه، فأرسل خير الدين رسالة مع أحد أتباعه [5] إلى الإستانة يعلم السلطان سليم الأول برغبة الأهالي بضم الجزائر تحت رعاية الخلافة العثمانية[6]، وقد قبل السلطان عرض أهالي الجزائر، فأرسل إليهم نحو 2000جندي من سلاح المدفعية و 4000 من المتطوعين والإنكشارية، كما بعث إلى خير الدين بربروس السيف والخلعة السلطانية

[1] وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 43.

[2] عبد الحميد ابن زيان ابن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، مكتبة جواد، الجزائر، 1972، ص 74.

[3] محمد دراج، المرجع السابق، ص 207.

[4] المرجع نفسه، ص 208.

[5] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص 46.

[6] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص188.

والسنجق[1]، اعترافًا به وتأكيدا لشرعية حكمه باسم الدولة العثمانية وفرمانا[2] يقضي فيه بتعيينه بيلباي[3] على الجزائر[4].

[1] السنجق: لفظ تركي فارسي معناه علم أو رايا ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص 259

[2] فرمان: لفظ فارسي معناه أمر أو حكم أو دستور موقع من الملك انظر: المرجع نفسه، ص338.

[3] بيلباي: لفظ تركي بمعنى الأمير، انظر: المرجع نفسه، ص 84.

[4] محمد دراج، المرجع السابق، ص 209.

الفصل الأول:

التعريف ببلاد زواوة والإمارات المحلية (إمارة كوكو، وبني عباس)

المبحث الأول: التعريف ببلاد زواوة

المبحث الثاني: التطور التاريخي لإمارة كوكو

المبحث الثالث التطور التاريخي لإمارة بني عباس

الفصل الأول: التعريف ببلاد زواوة والإمارات المحلية (إمارة كوكو وبني عباس)

المبحث الأول: التعريف ببلاد زواوة

1-أصل التسمية

لم ترد تسمية "زواوة" بشكل صريح في المصادر التاريخية القديمة، سواء تلك التي تعود للعصور اليونانية أو الرومانية أو البيزنطية، مما دفع الباحثين إلى الاعتماد على مجموعة من الفرضيات والأساطير البربرية لتتبع أصول هذه القبيلة. وتشير بعض هذه الروايات إلى أن سكان جبال جرجرة كانوا يُعرفون باسم "الكانكوجنتيان"، وهو مصطلح يُستخدم للإشارة إلى جماعة أو اتحاد يتكون من خمس فرق أو قبائل تنحدر من أب واحد أو جد مشترك، وهو ما يرمز إلى رابطة قرابة قوية تجمع بينهم.

وقد بدأ ظهور اسم "زواوة" بشكل واضح في منطقة المغرب الأدنى (إفريقية/تونس حاليا) حيث ورد أول إشعار تاريخي بهم في تلك الجهة، مما يرجّح أن التسمية كانت محلية في الأصل ثم انتقلت تدريجيًا إلى الوسط القبائلي في شمال الجزائر، وخاصة في جبال جرجرة مع توسع نفوذهم وانتقال بعض فروعهم غربًا.[1]

يشير صاحب كتاب "مفاخر البربر "إلى أن اسم "زواوة (Zouaoua) "ما هو إلا تصحيف للاسم الأمازيغي الأصلي "**قواوا** "أو "**زواوا**"، حيث تعود التسمية – بحسب ما ورد في المصدر – إلى أحد أبناء يحيى بن تمزيب بن ضريس، ويدعى "زواو"، الذي نسبت إليه القبيلة فيما بعد. وقد استُعمل هذا الاسم ليشمل مختلف الفروع التي تنحدر منه، وبالتالي أصبحت تعرف جماعيًا بـ"زواوة."

ومن جهة لغوية، يُرجع بعض الباحثين اشتقاق كلمة "زواوة "إلى المصطلح الأمازيغي "أقاوا"، الذي يُقصد به "مجموعة من القبائل" التي استوطنت سفوح جبال جرجرة واتخذتها موطنًا

[1] أحمد بن رمضان، زواوة من عهد الفنقيين إلى ما بعد الفتوحات الإسلامية، مجلة الحكمة، العدد 8، الجزائر، ديسمبر، 2016، ص2.

دائمًا لها. ومن أبرز هذه القبائل التي تُعد من مكونات زواوة :آث عيسى، آث بطرون، وغيرها من الفروع التي شكلت لاحقًا وحدة إثنية واجتماعية متماسكة عُرفت بهذا الاسم.

تدل هذه الروايات، سواء التي تعود إلى نسب فردي أو إلى اشتقاق لغوي جماعي، على أن اسم "زواوة" لم يكن وليد حقبة واحدة أو مصدر واحد، بل هو نتاج تراكمي للتاريخ الشفوي والنسب العائلي، والتحولات الديموغرافية واللغوية التي عرفتها منطقة جرجرة عبر القرون بسب شهرتهم بانتقال الرجال من منطقة الى أخرى تحول معنى مصطلح "أقاوا" إلى أنه التاجر المتنقل، ليأكد أبو عباس الغبريني في كتابه عنوان "الدراية" أنها كانت متداولة منذ القرن الثالث عشر ميلادي[1].

كما ذكر أبو يعلى الزواوي في كتابه "تاريخ الزواوة " أن معنى الزواوة بلغتهم تعني جمع شيء فهو " زاو " و "أزوي " تعني جاء ومعه غيره وهي إشارة إلى اتحادهم وتحالفهم أمام الأخطار[2].

2-نسب بلاد زواوة

اختلف المؤرخون في نسب الزواوة، فالزواوة قبائل كثيرة مشهورة منتشرون في أقاليم بلاد البربر[3] ونوميديا ومعظمهم رعاة، وكون أن من بينهم صناعا ينسجون القماش ويعيشون في الجبال والتلال[4]، نسب ابن خلدون قبيلة زواوة إلى بطون كتامة، حيث ورد في "كتاب العبر ″ ما نصه" :أما شعوب هذا الجبل – يعني البربر – فهم برنس ومادغس، وأيضا زواوة من كتامة؛ وهذا البطن من أكبر البطون البربرية وأكثرها مواطن، إذ تمتد مواطنهم من بجاية إلى تدلس، في جبال شاهقة ووعرة، ولهم بطون وشعوب كثيرة كلها متمركزة في منطقة كتامة".

[1] فهيمة مبارك، بلاد الزواواة في ظل الحكم العثماني (1511م 1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في تاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2015، ص ص 19-20.

[2] أبو يعلى زواوي، تاريخ زواوة، مراجعة وتعليق سهيل خالدي، منشورات وزارة الثقافة الجزائر، ط1، 2005، ص ص 108-109.

[3] المرجع نفسه، ص 90.

[4] حسين بن شيخ آث ملويا، التعريف بالأمازيغ وأصولهم، ط1، دار الخلدونية، الجزائر، 2007، ص 58.

ويبرز ابن خلدون من خلال هذا النص مكانة زواوة باعتبارهم فرعًا من قبيلة كتامة، وهي إحدى القبائل البربرية الكبرى التي لعبت دورا مهما في التاريخ المغاربي، خاصة في دعمها للدعوة الفاطمية. ويؤكد كذلك على اتساع مجالهم الجغرافي الذي شمل المرتفعات الممتدة من بجاية إلى تدلس، مما يدل على الطابع الجبلي الدفاعي لمواطنهم.

كما أشار ابن خلدون إلى أن نسب عامة البربر يرد إلى بني سُمان، المنحدرين من يحيى بن ضريس، في إشارة إلى وحدة الأصل النسبي الذي يجمع أغلب القبائل الأمازيغية، ومنها زواوة[1].

أوردت الباحثة فهيمة مبارك أن الكاتب الإسباني "دييغو دوهايدو" diego dehaedo "، أن التسمية "الزواوة azuagos" تشمل سكان إمارتي بني عباس وإمارة كوكو، ونقلت عن ابن خلدون بطون زواوة حسب نسب البربر كما هو موضح بالرسم[2].

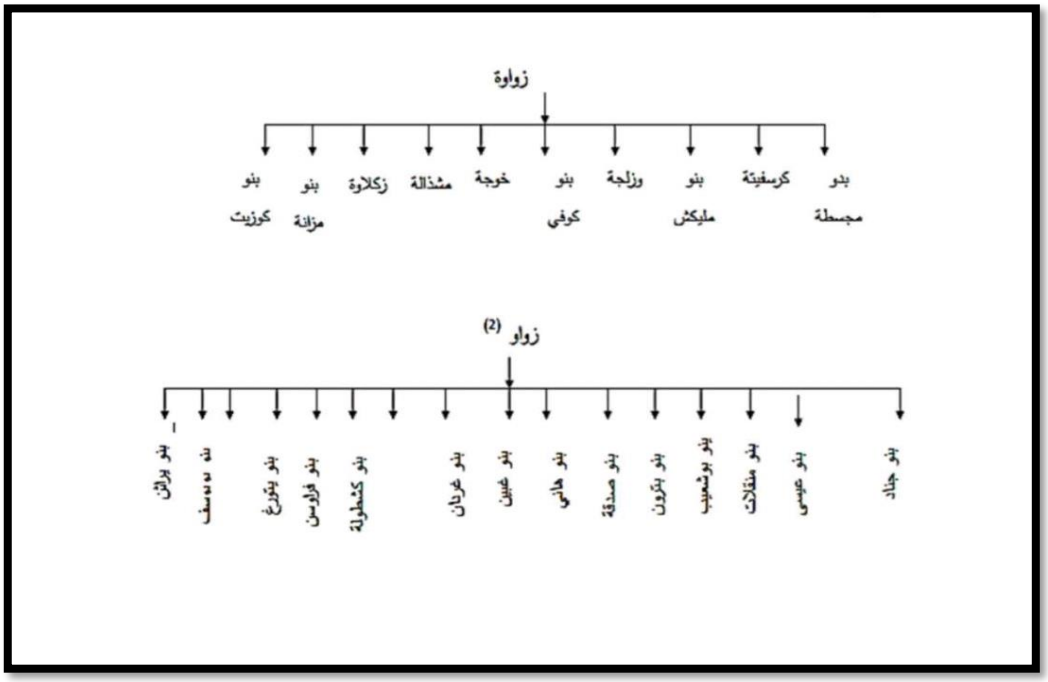

[1] فهيمة مبارك، المرجع السابق، ص 17.

[2] المرجع نفسه، 18.

3-جغرافيا الزواوة

تتمتع منطقة الزواوة بموقع جغرافي استراتيجي في شمال الجزائر، غير أن تحديد حدودها بدقة يظل أمرًا معقدًا نظرًا لغياب خرائط دقيقة ترسم معالمها وفق معايير واضحة. ويُعزى هذا الغموض إلى كون المنطقة عرفت، خلال العهد العثماني، تقسيمًا إداريًا ثنائيًا؛ حيث أُلحقت بجاية والمناطق المجاورة لها بـ"بايلك قسنطينة"، في حين خضعت تيزي وزو في البداية لـ"بايلك التيطري"، ثم أُلحقت لاحقًا بدار السلطان، أي بالإدارة المركزية في الجزائر العاصمة.[1].

على الرغم من تباين آراء المؤرخين والباحثين والمفكرين بشأن التحديد الدقيق لموقع بلاد الزواوة، إلا أن الثابت جغرافياً هو تموقع هذه المنطقة في الشمال الأوسط للجزائر، حيث تمتد على مساحة تُقدّر بحوالي 15,000كيلومتر مربع .وتحدّها من الشمال السواحل المتوسطية، ومن الغرب سهل متيجة، ومن الشرق مدينة بجاية، فيما تتاخم جنوبًا المرتفعات الجبلية. وتمتد بلاد الزواوة، بوجه عام، من دلس إلى جبل بني خلفون الذي يبلغ ارتفاعه 1625مترًا، وجبل أكفادو بارتفاع 1646مترًا، وصولًا إلى قمة لالة خديجة التي تُعد أعلى قمة في جبال جرجرة بعلو 2803أمتار[2].

فابن خلدون يحصرها ما بين دلس الى بجاية[3]، أما مرمول كربخال في كتابه افريقيا، هذا الإقليم يحده من الغرب إقليم الجزائر أين مدينة تنس ومن الشرق إقليم افريقيا جهة القل ويحده من الشمال البحر الأبيض المتوسط وتحده من الجنوب ونوميديا[4].

---

*الملحق رقم 1: خريطة الزواوة

[1] محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية 1749-1949م، رسالة لنيل الدكتورة في تاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2010، ص 19.

[2] زدين قاسيمي، قيادة سيباو (1132-1720م/1247-1857م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، 2006، ص17.

*الملحق رقم 2: خريطة التقسيم الإداري للخرائط أثناء العهد العثماني.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المجلد 6، مر: سهيل زكور، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000، ص 168.

[4] مارول كاربخال، افريقيا، د.ط، ج2، تر: عن الفرنسية محمد الحجي وآخرون، دار النشر المعرفة لنشر والتوزيع، الرباط، 1989، ص ص375-376

وبصورة عامة، فإن أغلب الباحثين والمهتمين بتاريخ منطقة الزواوة يُجمعون على أن حدودها تمتد من دلس غربًا إلى بجاية شرقًا، وهي بذلك تشمل نطاقًا جغرافيًا جبليًا يتميز بتضاريس وعرة وعلو شاهق. وتتكون هذه المنطقة من كتلتين جبليتين رئيسيتين، هما :سلسلة جبال جرجرة من الجهة الجنوبية، وحوض سيباو من الجهة الشمالية، حيث يتراوح ارتفاع الجبال بين 1500متر و 2803أمتار .وتشكل هاتان الكتلتان ما يعرف اصطلاحا بالقبائل الكبرى، التي تعد من أبرز المناطق ذات الخصوصية الجغرافية والأنثروبولوجية في شمال الجزائر[1].

4-التنظيم الإداري لبلاد زواوة خلال الفترة العثمانية

أ-تبعية بلاد زواوة لدار السلطان:

كانت البايلكات تُشكل الوحدات الإدارية الكبرى في الجزائر خلال العهد العثماني، ويتولى إدارتها البايات. وقد قُسمت البلاد إلى ثلاث بايلكات رئيسية :بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة، بايلك التيطري وعاصمته المدية، وبايلك الغرب الذي تنقلت عاصمته بين عدة مدن لأسباب سياسية وعسكرية، خصوصًا بسبب الاحتلال الإسباني لكل من وهران والمرسى الكبير، مما أدى إلى انتقال مقر القيادة في فترات مختلفة بين مازونة ومعسكر ومستغانم، إلى أن استُعيدت مدينة وهران لاحقا.

إلى جانب هذه البايلكات الثلاث، وُجد إقليم خاص يعرف بدار السلطان، والذي كان يشمل مدينة الجزائر وضواحيها. وامتدت حدوده ما بين البايلكات الثلاث، إذ يحده من الشرق جبال بلاد القبائل ووادي سيباو، ومن الغرب وادي مسلمون، أي على مسافة تُقارب 150كلم من الشرق إلى الغرب، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالًا إلى جبال الأطلس جنوبا على امتداد نحو 50كلم.

ويُطلق اسم "دار السلطان" على هذا الإقليم خلال الفترة الممتدة من سنة (1132هـ / 1720م) إلى(1158 هـ / 1745م)، وهي فترة تميزت بسيطرة مباشرة للسلطة المركزية (الداي)

[1] زدين قاسيمي، المرجع السابق، ص 18-20.

على المنطقة، حيث كان تعيين قادة القيادات المحلية يتم من طرف الداي، إلى جانب فرض الضرائب مباشرة من دار السلطان[1].

ب-تبعية بلاد زواوة لبايلك التيطري

كانت حدود بايلك التيطري تتحدد شمالًا بجبال بني صالح وبني مسعود وموزاية، وشرقًا بأراضي قبائل بني سليمان، غريب، وأنواغر .أما من الجهة الغربية، فكان يحده قيادة جندل وأراضي أولاد خليف، في حين شكّلت جبال الصحاري ومنطقة بني لغواط حدوده الطبيعية من الجنوب، وهي مناطق تُعد موطناً رئيسياً للرعي بالنسبة لقبائل أولاد نايل في الشرق وقبائل الأربعاء في الغرب.

أما فيما يخص إقليم سيباو، فقد كان يتموقع شرقًا ضمن مقاطعة دار السلطان، وغربا بمحاذاة بايلك التيطري، غير أن جزءاً من هذا الإقليم اقتُطع وأُدمج ضمن ما عُرف لاحقًا باسم قيادة سيباو"[2].

يعد من أبرز العوامل التي دفعت العثمانيين إلى ضم إقليم سيباو إلى بايلك التيطري، الطابع الثوري الدائم الذي اتسمت به المنطقة تجاه السلطة العثمانية، حيث شكّلت سيباو بؤرة مقاومة مستمرة أرهقت الإدارة العثمانية وأثقلت كاهل خزينة الإيالة نتيجة ما تطلبته من نفقات مالية وعسكرية متكررة. وبناءً على ذلك، تبنّى العثمانيون سياسة خاصة تهدف إلى إحكام السيطرة على بلاد زواوة، فقرّروا خلال فترة حكم الباي محمد الذباح ضمّ الإقليم إلى بايلك التيطري، وذلك في إطار استراتيجية أمنية وإدارية تهدف إلى تقويض التمرّدات المتكررة، وإعادة فرض سلطة الدولة العثمانية على هذه المنطقة الحيوية.[3].

[1] مبارك فهيمة، المرجع السابق، ص 68.

[2] المرجع نفسه، ص68.

[3] المرجع نفسه، ص 69.

ج-انفصال بلاد زواوة عن البايلك والتحاقها بدار السلطان 1754-1830

جددت المنطقة مرحلة تبعيتها لدار السلطان بشكل ليس كلي بسبب وجود قائد سيباو وكان سكان بلاد زواوة شبه مستقلين عن العثمانيين أو السلطة المركزية في الجزائر، وعلاقتهم كانت تقتصر على ما يتوجب لهم من دفع ضرائب ...، وكان إقليم سيباو الواقع شرق مقاطعة دار السلطان وغرب بايلك قسنطينة، امتدادا للمنطقة الشمالية الشرقية لبايلك التيطري إلا أنه أصبح لفائدة القادة الكبار ويشكل قيادة سيباو، وكان القائد يدفع مختلف الضرائب من الزيت والتين الجاف والقمح والشعير كل ثلاث سنوات وكان مركزها بلاد زواوة[1] .

المبحث الثاني: التطور التاريخي لإمارتي كوكو

1-الموقع والأصل

من خلال دراسة مراحل تطور الإمارة يمكن القول إن حدودها لم تكن مستقرة وذلك تبعا للظروف التي مرت بها من رحلة قوة حتى مقتل مؤسسها أحمد بن القاضي إلى مراحل الضعف والصراع على السلطة، وأيضا تبعا لعلاقات إمارة كوكو[2] مع حكام الجزائر العثمانيين وممالك الجوار، منها قلعة بني عباس وحكامها الذين طال الصراع بينهم وبين إمارة كوكو.

أ-الموقع: أفادت المصادر والمراجع التاريخية بأن حدود المملكة امتدت إلى سهول مدينة الجزائر، المعروفة بسهل متيجة، كما أشار إلى ذلك المؤرخ الإسباني مارمول [3]، تحد إمارة

*الملحق رقم 3: خريطة الموقع الجغرافي لإمارة كوكو.

[1] مبارك فهيمة، المرجع السابق، ص70.

[2]كوكو: هو استحكام يقع في جرجرة يشبه مدينة صغيرة وهو ملك لقبيلة زواوة وتقع كوكو على استقامة (تيزي وزو، فورنابيول، ميني شلة بني منصور) على بعد 8 كليومترات من الجهة الشرقية منها، بني فوق هضبة مرتفعة ومحاطا بسور قديم وبداخله جامع، انظر: جعدي أمال، المرجع السابق، ص 19

[3]مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 373.

كوكو من الشمال والشمال الشرقي قرية ثافنيتس، ومن الجهة الشرقية كل من إمسوحال وآث نضار، بينما يحدها من الجنوب آث جبارة، ومن الغرب منطقة تفراوت. [1]

تقع إمارة كوكو في القسم الغربي من جبال القبائل الكبرى[2] على سفوح جبال جرجرة على قمة صخرية عند إلتقاء جبال أكفادو أو جرجرة حيث بلغت حدودها مدينة الجزائر في بعض الأحيان لاسيما في عهدها الأول[3].

أما فيما يخص موقع عاصمة الإمارة، فقد تم نقله عقب الحصار الذي فرضته عليها السلطة خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1624 و1636م، حيث تمركزت في البداية بقريتي أشلام وأورير ضمن عرش بني غويري، قبل أن تُحوَّل لاحقًا إلى بلدة كوكو الواقعة في آيث يحي بأعالي جبال جرجرة [4]، يشير المؤرخ الفرنسي بيير بوابي **(Pierre Boyer)** في أحد مقالاته إلى أن رقعة مملكة كوكو لم تكن دولة مركزية بالمعنى الكلاسيكي، بل كانت عبارة عن اتحاد قبلي يضم مجموعة من القبائل الخاضعة لقيادة عائلية قوية. ويؤكد أن هذه القيادة لم تشمل جميع قبائل زواوة، وإنما اقتصر نفوذها على القبائل البحرية وبعض القبائل الزواوية المتحالفة معها، مما يعكس طبيعة الحكم المحلي والتحالفات الظرفية التي ميزت تلك الفترة[5].

تُعد منطقة القبائل الغربية ذات طابع جبلي في المقام الأول، حيث تندر فيها السهول الواسعة، إذ تقتصر المساحات المنبسطة على أحواض ضيقة تتخلل التضاريس الوعرة. ومن أبرز هذه الأحواض نذكر :حوض وادي الساحل، حوض سيباو، حوض ذراع الميزان الضيق

[1] علي بن الشيخ، نشأة مملكة كوكو وتطورها السياسي والعسكري والاقتصادي ما بين القرنين 16-18، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة بجاية، العدد 11-12، مارس 2016، ص 332.

[2] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 93

[3] زيدين قاسمي، المرجع السابق، ص ص 23-24

[4] علي بن الشيخ، المرجع السابق، ص329.

[5] Pierre Boyer، l'Espagne et koukou: les négociations de 1589-1610، in revue de l'occident musulman et de méditerranée ، 2ème trimestre 1970، N°08 publié avec le concours du Cnrs، Aix en provence ،p26

وحوض وادي يسر، وهي تشكل المساحات الزراعية القليلة المتوفرة في هذه المنطقة ذات التضاريس الصعبة.[1]

من المرجح أن اختيار مؤسس إمارة كوكو لهذه المنطقة لم يكن عشوائيًا، بل تم بدافع الاعتبارات العسكرية والاستراتيجية .فموقع كوكو يتميز بإطلالته الواسعة على المناطق المجاورة، مما يمنحها ميزة دفاعية قوية .كما أن وعورة تضاريسها، المتمثلة في الجبال العالية والمسالك الصعبة، جعلت منها حصنًا طبيعيا منيعا، يصعب على الجيوش المعادية الوصول إليه أو اقتحامه، الأمر الذي وفر للإمارة مستوى عال من الحماية والأمن الذاتي في وجه التهديدات الخارجية.[2]

ب-الأصول

يصعب تحديد الهوية الحقيقية أو الأصل العائلي لأسرة ابن القاضي على نحو دقيق ولا يمكن الجزم بكونها امتدادًا مباشراً لنسب أبي العباس الغبريني، على الرغم من شهرة هذا الأخير كواحد من أبرز الشخصيات في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي. يُعد ابن القاضي من الشخصيات المحورية التي حظيت باهتمام واسع في المصادر التاريخية، نظرًا لتأثيره السياسي البارز خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي. وقد ارتبط اسمه بعدد من الأحداث السياسية والعسكرية التي مست مدنًا ومناطق استراتيجية مثل بجاية، زواوة، جيجل، الجزائر (بني مزغنة)، ووهران .وقد تنوعت آراء الباحثين والمؤرخين حول أصول إمارة كوكو وعائلة ابن القاضي، مما يعكس الغموض التاريخي الذي يكتنف هذه الشخصية البارزة.[3]

---

[1] علي بن شيخ، مملكة كوكو ونظامها السياسي والعسكري مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم اللغة والثقافة الأمازغية، فرع الحضارة تاريخ، جامعة تيزي وزو، 2017، ص 39.

[2] مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص347.

[3] أحمد ساحي، الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو 1512م-1767م، دار الأمل، المدينة الجديدة، تيزي وزو، 2015، ص 38.

يُرجّح معظم المؤرخين أن أصل ونسب آل القاضي يعود إلى النسب الشريف، حيث يشير شارل فيرو إلى أن الأسرة تحتفظ بشجرة نسب تؤكد هذا الانتماء، وترجع نسبها إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم .ووفقا لهذا النسب، فإن جدهم عمران بن إدريس كان حاكمًا على بعض القبائل الصنهاجية في حدود سنة 828م. وبعد سقوط دولة الأدارسة، انسحب هذا الفرع من العائلة إلى منطقة كوكو في جبال جرجرة، حيث أسسوا لاحقًا إمارة ذات نفوذ في منطقة القبائل.[1] وقاموا بتأسيس زاوية سميت بزاوية كوكو تعود لمؤسسها عمر بن القاضي المجاجي[2].

في المقابل، يرى عمار عمورة أن أسرة ابن القاضي تعود في أصلها إلى الصوفي سيدي محند بن القاضي (إذ يُعد "محند" التسمية القبائلية لـ"محمد")، الذي يُنسب إليه تأسيس زاوية الصومام .وقد تمكن ابنه، أبو العباس، من أن يكتسب مكانة مرموقة بين سكان مدينة الجزائر ما يُشير إلى الدور الديني والاجتماعي الذي لعبته هذه العائلة قبل أن تبرز سياسيًا [3]،

كما تُنسب أسرة آل القاضي إلى بني غبرين، نسبةً إلى أبي العباس بن أحمد الغبريني الذي عُرف بشخصيته السياسية ومكانته كمؤرخ بارز. ويُعد من أبرز أعماله ما تركه من قاموس بيوغرافي مهم يوثق سير العلماء الذين عاشوا بمدينة بجاية خلال القرن السابع الهجري مما يعكس دوره في حفظ الذاكرة العلمية والثقافية للمنطقة [4]، وقد استغلوا بالقضاء لأن جدهم الأول كان قاضيا في بجاية أيام الدولة الحفصية (627هـ-943هـ/ 1229م)[5].

كما يصف ابن خلدون أبو العباس فيقول: "كبير بجاية وصاحب شوارها"[6]، سمّي أبو العباس الغبريني بهذا اللقب نسبةً إلى قبيلة بني غوبري، وهي إحدى البطون الأمازيغية التي

[1] (H) genvois legend des rois de koukou fechier periodique N 121 1974 p03.

[2] أحمد ساحي، المرجع السابق، ص 41.

[3] عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ الجزائر عامة ما قبل التاريخ 1962، ج1، دار المعرفة للنشر والتوزيع، باب الزوار الجزائر، ص 192

[4] أمال جعيدي، المرجع السابق، ص 20.

[5] مؤلف مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، رح، وثق: ودع عبد الله حمادي، المكتبة الجزائرية دار القصبة للنشر، ص 209 .

[6] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص 15

استوطنت منطقة المغرب الأوسط، مما يدل على انتمائه الأمازيغي وجذوره القبلية في هذه الجهة من شمال إفريقيا[1].

أما الباحث "سعيد بوليفة"، فقد نقل رواية اعتمد فيها على الموروث الشفوي المتداول عبر الأجيال، والتي جمعها من منطقة سيباو الأعلى. ووفقًا لهذه الرواية، فإن جدّ عائلة ابن القاضي كان رجلاً ينتمي إلى قبيلة آث غوبري، ذات الأصول المرابطية[2].

ونظرا لاختلاف آراء المؤرخين حول أصل ونسب آل القاضي إلا أنهم اتفقوا جميعا على أنهم ذوي مكانة علمية ودينية مرموقة.

2-تأسيس الإمارة وأشهر حكامها

أ-تأسيس إمارة

من نتائج ضعف الدولة الزيانية ودولة بني حفص، وما رافقه من حروب متواصلة جعلت من الجزائر ساحة صراع دائم، إلى جانب الروابط القبلية الراسخة التي تميز بها المجتمع المغاربي، أن انفصلت عدة مناطق عن سلطة مملكة بني عبد الواد والممتلكات الحفصية. وقد أدى هذا الوضع إلى تشكل كيانات سياسية محلية تمثلت في إمارات مستقلة، وقبائل نافذة ومناطق نفوذ وزوايا دينية، فضلا عن موانئ كانت شبه مستقلة. وقد اتسمت هذه الكيانات بعدم خضوعها لأي سلطة مركزية، وشكلت بذلك قوى محلية قائمة بذاتها[3].

بعد أن انتشر صيت الإخوة بربروس في البحر الأبيض المتوسط وذاع تأثيرهم البحري، أبدى السلطان الحفصي اهتمامًا بهم وسمح لهم بالقيام بأنشطتهم البحرية على سواحله. وفي خضم تلك الظروف، برز شاب يُدعى أحمد، أو القاضي، كان يشغل منصب حاكم مدينة عنابة (بونة) الخاضعة آنذاك للحفصيين. عُرف هذا القائد بالشجاعة والحكمة، فأرسله السلطان

[1]أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نوهض، ط2، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص 9

[2] علي بن الشيخ، مملكة كوكو، المرجع السابق، ص 46.

[3]ديهية دموش، لشهب منال، ثنائية الصراع والتحالف بين سلطة إيالة الجزائر وإمارتي كوكو وبني عباس 1587-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة البويرة، 2021، ص 10.

الحفصي لدعم الإخوة بربروس في مهمتهم لتحرير مدينة بجاية. وعند وصوله إلى منطقة البابور، لقي ترحيبًا من مختلف القبائل، التي سارعت إلى إعلان ولائها ووضع نفسها تحت قيادته[1].

وفي سنة 1511م، توجّه أحمد القاضي إلى جبال جرجرة بهدف تأسيس مملكة، وقد تمكّن من تحقيق ذلك في نفس العام، حيث أسّسها في قرية أورير التابعة لعرش آث غوبري الواقعة في الجهة الجنوبية الشرقية من أربعاء نايت إراثن، ضمن قبيلة آث يحيى، عند منابع وادي سيباو على السفوح الشرقية لجبال جرجرة. وتُعدّ هذه المنطقة ذات صلة عميقة بأصوله إذ نشأ فيها أجداده، ومن أبرزهم المؤرخ أبو العباس الغبريني.[2]

ب-أشهر حكام

أحمد بن القاضي: ويعد المؤسس الأول لإمارة كوكو وهو أبو محمد بن القاضي الغبريني الزواوي (10هـ-16م)[3].

كان أحمد القاضي قاضيًا ومفتيا بمدينة بجاية في عصره، وقد أسّس إمارة كوكو التي حملت هذا الاسم نسبةً إلى عرش آيت يحيى، قبل أن تتوسّع لتشمل قبائل وادي سيباو. وينحدر أحمد القاضي من نسل القاضي الشهير أبو العباس الغبريني، وكان من المرابطين البارزين الذين لعبوا دورًا محوريًا في تلك المرحلة. يُعدّ اسمه من الأسماء الأساسية في تاريخ الجزائر لكونه صديقًا مقرّبًا وحليفًا موثوقًا للإخوة بربروس، وخاصة بابا عروج[4].

[1] أمال جعدي، المرجع السابق، ص 21.

[2] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص ص 48-49.

[3] ديهية دموش، المرجع السابق، ص 13

[4] شارل فيرو، المرجع السابق، ص 97.

لما توفي سنة 1519م، حل محله ولده الطائش ابن القاضي على حد تعبير خير الدين في مذكراته، فقد تحالف مع سلطان تونس ضد الأتراك وخير الدين هذا الأخير الذي قضي عليه[1].

حسين ابن القاضي:

بعد مقتل أحمد بن القاضي سنة 932هـ / 1527م، تولى شقيقه حسين بن القاضي حكم إمارة كوكو، واسمه الحقيقي مصطفى بن حسين. ويُعتبر الحاكم الثاني لهذه الإمارة، غير أن فترة حكمه لم تكن طويلة مقارنةً بسابقيه، إذ استمرت حوالي ثلاثين سنة. وقد تميزت هذه المرحلة باضطراب في العلاقات الخارجية، وتكرار التحرشات والهجمات على الإمارة، نتيجة لضعف خبرته وقلة حنكته السياسية في إدارة شؤون الحكم، على عكس شقيقه أحمد الذي امتاز بالكفاءة والدهاء السياسي[2]، كما قام حسن بن القاضي بثورة ضد خير الدين لكن هذا الأخير تمكن من قمعها[3].

أحمد بن علي:

كان آخر أفراد أسرة بوختوش من تصدى بالسلاح للعثمانيين عند محاولتهم السيطرة على وادي سيباو، حيث خاض مواجهة حاسمة ضد القائد العثماني علي خوجة في منطقة ذراع بن خدة سنة 1136هـ / 1725م. انتهت المعركة الأولى بانتصار العثمانيين، غير أن الاشتباكات تواصلت عبر جولات متعددة. وفي معركة كبيرة ثانية دارت بين الطرفين على أرض قبيلة بوختوش، تلقى المتمردون هزيمة قاسية أنهت الوجود الفعلي لآل بوختوش في وادي سيباو، لتُحكم السيطرة العثمانية على المنطقة بشكل نهائي[4].

[1] خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص ص 108-109.

[2] ديهية دموش، المرجع السابق، ص 14

[3] محمد دراج، المرجع السابق، ص 363.

[4] محمد صغير فرج، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها جتى سنة 1954، تع: موسى زمولي، منشورات تالة، الجزائر، 2007، ص 28.

المبحث الثالث: التطور التاريخي لإمارة بني عباس (المقرانيين)

1- الموقع والاصل

أ-الموقع

تقع قلعة بني عباس فوق موقع طبيعي حصوي رملي، ضمن سلسلة جبال الونوغة التي يُعرف جزؤها الشمالي اليوم بسلسلة البيبان. وقد شُيّدت القلعة في موضع استراتيجي يبرز بوضوح في مركز انحناء حاد للجبل المعروف باسم "تاقروبثت"، حيث استُغل الموقع الأعلى من الهضبة الأكثر منعة لتحصين القلعة وضمان صمودها أمام الهجمات، مستفيدة من تضاريس الجبل الطبيعية التي توفر حماية طبيعية وصعوبة في الوصول[1].

تعد من بين أهم المناطق العمرانية التي بنيت على سفوح جبال بجاية[2]، ومن بين أبرز القلاع التي اشتهرت خلال القرن السادس عشر بموقعها الجغرافي الحصين، قلعة بني عباس التي تميّزت بصعوبة الوصول إليها، ما جعلها مركزًا دفاعيًا منيعًا. وقد وصف حمدان خوجة وعورة مسالكها قائلاً: "وفيها مدينة تدعى القلعة لا يتم الوصول إليها إلا بشق الأنفس، وبما أنني لم أتمكن من الذهاب إليها راكبًا، فإنني قطعت الطريق راجلًا لأراها، وإنه لطريق وعر جدًّا لدرجة أننا، عندما يتسلقها ثلاثة أشخاص على التوالي، نرى رأس الثالث عند قدمي الأول". هذا الوصف يعكس بجلاء مدى تعقيد المسالك المؤدية إلى القلعة، ويبرر اختيار هذا الموقع لحمايته من أي غزو محتمل[3].

*الملحق رقم 04: خريطة الموقع الجغرافي لإمارة بني عباس.

[1] نبيل بومولة، القوى المحلية في منطقة القبائل الشرقية في)10ه/16م) بني عباس نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستار في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009، ص ص 14-15.

[2] عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية الإسلامية في بجاية ونواحيها، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007، ص 149.

[3] حمدان بن خوجة، المرآة، تح، تق: محمد العربي الزبيري، بيروت، 1972، ص 29.

وأيضا قدم مرمول وصفا للقلعة قائلا " أنه جبل وعر شديد الانحدار متصل بالأطلس الكبير على بعد 15 فرسخا من بجاية"[1].

تقع قلعة بني عباس في موقع استراتيجي بالغ الأهمية، إذ يحدها من الشمال منطقة بني عيدل، ومن الشرق كل من أولاد سليل وسهل مجانة، أما من الغرب فتحاذيها منطقتا تازمالت وبني منصور. وتتميز القلعة بتموضعها في أعالي الضفة اليمنى لواد الساحل وواد أقبو (الصومام)، حيث يبلغ ارتفاعها حوالي 1084 مترًا عن مستوى سطح البحر، ما يجعل منها نقطة مراقبة طبيعية واسعة النطاق، ويساهم في تعزيز قدرتها الدفاعية ضد أي هجوم محتمل خصوصا مع التضاريس الصعبة التي تحيط بها من مختلف الجهات.[2]

كما شهد المجال الجغرافي لإمارة بني عباس توسعًا ملحوظًا، حيث امتد نفوذها من قلعة بني حماد، مرورًا بالميلة وبوسعادة جنوبًا، وصولًا إلى تخوم قسنطينة شرقًا. وقد بلغ هذا التوسع ذروته خلال عهد أحمد بن عبد الرحمن، الذي عزز سلطة الإمارة ومدّ حدودها لتشمل عمالة تونس شرقًا، وواد ريغ في عمق الصحراء جنوبًا، بالإضافة إلى مناطق الغرب مثل مزاب وبلاد الأغواط، مما يدل على قوة هذه الإمارة سياسيًا وعسكريًا، وقدرتها على بسط نفوذها على مناطق شاسعة ذات تنوع جغرافي وسكاني كبير[3].

ب-الأصل

ظهرت في القسم الشرقي من بلاد القبائل أسرة بني عباس واتخذت قلعة بني عباس عاصمة لها والتي يرجع الفضل في تأسيسها الى الأمير "عبد العزيز الحفصي"[4] ،حيث ذكر أيضا صالح عباد بأن عبد العزيز هو آخر الملوك الحفصيين في بجاية[5].

[1] مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 34.

[2] عبد الحميد درواز، التحصينات في قلعة بني عباس ببجاية ما بين القرنين 16هـ-19، ص 242

[3] الحسن بن محمد الوريثيلاني، المرجع السابق، ص 53

[4] عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 12.

[5] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1516م-1830م، دار الهومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 25.

تعتبر إمارة بني عباس أو كما تعرف بأسرة أولاد مقران من الأسر المحلية الكبرى التي سيطرت في بداية الحكم العثماني على الجزء الغربي لبايلك قسنطينة[1]، وقد أدّت إمارة بني عباس دورًا محوريًا في تاريخ المنطقة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، لا سيما في الجانبين العسكري والسياسي، حيث كانت تمثل قوة محلية ذات تأثير إقليمي. وقد تعددت الروايات حول نسب حكّامها، إذ نسبهم الورثلاني إلى النسب الشريف، مؤكدًا ذلك بقوله: "وهم من شرفاء العيش شريف نسبًا"، وهو ما أكده أيضا ابن فرحون في كتابه "طبقات الشرفاء"، عند ذكره للولي الصالح سيدي أحمد بن عبد الرحمان، الذي وصفه بـ"نفعنا الله به"، مشيرًا إلى كونه من تلامذة الشيخ سيدي يحيى العبدلي، مما يعزز الطابع الديني والروحي للإمارة، ويمنح نسبها بعدًا رمزيًا واجتماعيًا معتبرًا في المخيال الجماعي للمنطقة[2].

وهناك رأي يقول بأن عائلة بني عباس ذات صلة بالعائلة الإدريسية بالمغرب الاقصى[3] في حين ينسبهم رين rinn إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم[4]، ذكر ابن خلدون في تاريخه أن أسرة بني العباس تُعرف بـ"ثَذْوِيكَش"، وهي تسمية محلية ارتبطت بهم وبيّن أن مواطنهم كانت تقع في منطقة كتامة، تحديدًا في السهول الممتدة بين قسنطينة وبجاية حيث استقروا هناك منذ فترات مبكرة. كما أشار إلى أن لهذه الأسرة عدة بطون وفروع تنتشر في تلك الجهات، مما يدل على اتساع رقعتها السكانية وأثرها في التركيبة القبلية للمنطقة، وهو ما يعزز مكانتها في السياق الاجتماعي والسياسي لتاريخ المغرب الأوسط[5]، وفي الختام، يرجح الباحث "بومولة نبيل" أن تعود أصول العائلة المقرانية إلى نسب شريف، وذلك استنادًا إلى ما أورده معظم المؤرخين، حيث أشاروا إلى هذا الاحتمال إمّا عبر صلتهم بفاطمة الزهراء بنت النبي محمد صلى الله عليه وسلم، من جهة الأخوال والأجداد، أو من خلال انتمائهم إلى

[1] جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ-16م إلى 16هـ-19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015، ص 52.

[2] الحسن بن محمد الوريثلاني، المرجع السابق، ص 36.

[3] نسيمة بودبية، قلعة بني عباس وعلاقتها مع السلطة المركزية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، دولة الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008، ص 29

[4] أمال جعدي المرجع السابق ص 27

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 187.

السلالة الإدريسية الحسينية، التي اتخذت من المغرب الأقصى مقرًا لها، مما يعزز الطرح القائل بانحدار هذه العائلة من سلالة ذات مكانة دينية واجتماعية مرموقة[1].

2-تأسيس إمارة وأشهر حكامها

أ-تأسيس الإمارة:

على الرغم من أن المؤرخ والرحّالة ليون الإفريقي (الحسن الوزان) كان من بين المعاصرين لفترة تأسيس إمارة كوكو، إلا أن ما يثير الاستغراب هو تجاهله التام لذكرها في كتاباته، وهو ما يطرح عدة تساؤلات حول أسباب هذا الإغفال، خاصة وأنه وثق بدقة أوضاع شمال إفريقيا في تلك الحقبة. فقد يكون ذلك نتيجة لعدم اطلاعه المباشر على تفاصيل المنطقة الجبلية المعزولة التي نشأت فيها الإمارة، أو ربما لاعتبارات سياسية أو جغرافية حالت دون اهتمامه بها مقارنة بمدن الساحل الكبرى آنذاك[2] وأن تاريخها يكتنفه الغموض، تتنوع الروايات وتتباين وجهات نظر المؤرخين بشأن تاريخ تأسيس قلعة بني عباس[3]، يرى بعض الباحثين أن قلعة بني عباس ظهرت لأول مرة خلال العهد الحمادي، غير أن انطلاقتها الفعلية ارتبطت بالشيخ عبد الرحمان القلعي خلال القرن 9هـ / 15م، وقد بلغت الإمارة أوج قوتها وازدهارها في عهد ابنه أحمد (1500-1510م)، ثم تولى الحكم من بعده نجله عبد العزيز[4].

أشار صالح عباد إلى أن قلعة بني عباس ما هي إلا نفسها قلعة ونوغة التي ورد ذكرها في المصادر المرينية، غير أن الأرجح أنها شُيّدت ثم أُعيد بناؤها لاحقًا من قبل أميري بجاية، اللذين اتخذاها عاصمة لإمارة بني عباس[5].

---

[1] نبيل بومولة، المرجع السابق، ص 44.

[2] حسن الوزان، وصف افريقيا، ج2، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، بيروت، لبنان، ص 51.

[3] نسيمة بودوبة، المرجع السابق، ص 14.

[4] مليكة مكاس، قلعة بني عباس إمارة المقرانيين 1500م-1600م، مجلة عصور، العدد 26، 2015، ص 10.

[5] صالح عباد، المرجع السابق، ص ص 33-34.

نشأت إمارة بني عباس في منطقة القبائل والمناطق المحيطة بها، عقب اضطرار سكان بجاية إلى الفرار بحثًا عن موطن أكثر أمنًا يضمن سلامتهم، ويشكل لهم حصنًا منيعًا ضد هجمات الإسبان، وضد الطامعين في الحكم، لاسيما جيرانهم من أسرة آل القاضي[1]، انتقل عبد الرحمان حبل عياض إلى جبال البيبان ضمن سلسلة ونوغة، حيث استقر أولًا في منطقة الشواريخ، ثم اتخذ من موقع القلعة شمال غرب سهل مجانة مقرًا دائمًا له، داخل المنطقة الجبلية الغربية، وعلى الضفة اليمنى لوادي الساحل، الذي يفصل بين قبيلتي بني عباس وزواوة من جهة إمارة كوكو. اتخذ لنفسه لقب "سلطان" واستمر حكمه إلى غاية وفاته سنة 1510م، بعد أن دام حوالي عشر سنوات. خلفه ابنه عبد العزيز في الحكم، ويُعد سيدي عبد الرحمان، بحسب العديد من المصادر، المؤسس الفعلي لإمارة بني عباس، التي نشأت على أساس ديني، نتيجة لتوافد القبائل حول زاوية الأسرة، التي أصبحت مركزًا علميًا يرتاده الطلبة والعلماء من مختلف الجهات.[2].

ومن هنا يمكن القول إن أسرة أولاد مقران هي واحدة من الأسر المحلية الكبيرة التي تمكنت من تأسيس إمارة في قلعة بني عباس في أعالي جبال البيبان في مطلع القرن السادس عشر[3].

ب-أشهر حكام بني عباس:

الأمير عبد الرحمان:

يُعد سيدي عبد الرحمان المؤسس الفعلي لإمارة بني عباس في أواخر القرن الخامس عشر، حيث تولى الزعامة بعد انهيار سلطة ابن القاضي وتفكك نفوذه، فالتفّ السكان حوله

[1] عبد القادر فكاير، الغزو الاسباني في السواحل الجزائرية وأثاره 910هـ-1206هـ/1505م-1792م، دراسة تتناول الأثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية عن الجزائر، دار هومة لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 56.

[2] أمال جعدي، المرجع السابق، ص ص 31-32.

[3] لخضر بوطبة، علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري أسرة أولاد مقران نموذجا، مجلة رؤئ للدراسات المغربية والحضارية، جامعة محمد لمين الدباغين، سطيف 2، ص 176.

وجعلوا منه رمزًا دينيا وعسكريا، حتى لقب بملك بجاية. أسّس زاوية لتعليم القرآن الكريم، وجعل من قلعة بني عباس مقرا لإقامته وحكمه إلى غاية وفاته سنة 1500م[1].

الأمير أحمد:

عقب وفاة الأمير عبد الرحمان، تولى ابنه أحمد الحكم، ويعد أول سلطان فعلي لإمارة بني عباس ابتداءً من سنة 1500م، حيث بسط سلطته على رقعة جغرافية واسعة امتدت من وادي الساحل إلى منطقة الحضنة.[2] سار أحمد على نهج والده، وتميز بورعه وحسن معاملته ولينه في التعامل، حيث قام بإنشاء مقر جديد في موقع استراتيجي بالقرب من منطقة الشواريخ وعمل على تدعيم أسس الإمارة من خلال تأسيس جيش قوي مكّنه من توسيع نفوذها. وقد ازدادت مكانته شهرة بعد انتصاره على عمر بن القاضي، مما جعل سكان المناطق المجاورة ينضمون تحت سلطته. توفي سنة 1510م ودُفن داخل قاعة الصلاة بمسجد أحمد أوسانون (ابن سحنون).[3]

الأمير أحمد مقران

توفي السلطان عبد العزيز سنة 966هـ / 1559م بعد معركة خاضها ضد العثمانيين فتولى الحكم بعده شقيقه أحمد مقران، الذي حملت العائلة اسمه لاحقًا. وقد عُرف أحمد بصفات الأمراء والسلاطين، إذ جمع بين العلم والمعرفة، وتميز بالحكمة السياسية والحنكة في التسيير ما جعله شخصية بارزة في تاريخ الإمارة[4]، أدار أحمد مقران مملكته بحكمة في ظل ظروف صعبة، وتمكّن من بسط نفوذه حتى إقليم الزاب، تقرت، وأولاد نايل في عمق الصحراء. وأمام اتساع سلطانه، اضطر العثمانيون إلى مهادنته والاعتراف بسيادته على الجهة اليسرى من

[1] نسيمة بودية، المرجع السابق، ص 16.

[2] بسام العسالي، محمد المقراني ثورة 1871، ط3، دار النفائس لطباعة والنشر والتوزيع، لبان، 1990، ص 119

[3] نبيل بومولة المرجع السابق، ص 62.

[4] نبيل مولة، نفس المرجع السابق، ص 64.

وادي الساحل سنة 966هـ / 1559م. وقد شهدت قلعة بني عباس في عهده أوج ازدهارها الاجتماعي، حيث بلغت الإمارة مستوى من الرخاء لم تعرفه في أي مرحلة سابقة من تاريخه[1].

[1] نبيل مولة، المرجع نفسه، ص 65.

الفصل الثاني:

السياسة العثمانية في بلاد زواوة وعلاقتها مع إمارتي كوكو وبني عباس

المبحث الأول: استراتيجية السلطة العثمانية للتحكم في المنطقة

المبحث الثاني: السلطة العثمانية وعلاقتها بإمارة كوكو

المبحث الثالث: السلطة العثمانية وعلاقتها مع إمارة بني عباس

الفصل الثاني: السياسة العثمانية في بلاد زواوة وعلاقتها مع امارتي كوكو وبني عباس

المبحث الأول: استراتيجية العثمانيين للتحكم في المنطقة

أولى العثمانيون اهتماما بالغا بمنطقة زواوة منذ إدماج الجزائر ضمن الدولة العثمانية في القرن السادس عشر، ويُعزى هذا الاهتمام إلى وجود قوى محلية منافسة آنذاك، مثل إمارتي آث القاضي وآث عباس. كما ساهم الموقع الاستراتيجي للمنطقة، الذي يشكل نقطة فاصلة بين مركز الحكم في دار السلطان وبايلك الشرق، في تعزيز أهمية زواوة بالنسبة للسلطة العثمانية[1] كما أن سكان الأرياف ظلّوا أوفياء لأميرهم، وخاضعين لتأثير الزعامات المحلية ذات الطابع الديني، وهو ما صعّب على العثمانيين بسط سيطرتهم الكاملة على المنطقة. وقد حاول هؤلاء، بمختلف الوسائل، فرض الضرائب على بلاد زواوة، لكنهم واجهوا مقاومة قوية بسبب ولاء السكان لسلطاتهم التقليدية[2].

على الرغم من أن تلك الضرائب كانت رمزية من حيث قيمتها، إلا أن السلطة المركزية العثمانية كانت تعتبرها دلالة على الخضوع والتبعية لها، الأمر الذي دفع السكان إلى النزوح نحو المناطق الجبلية الوعرة، خاصة في ظل التوسع العثماني في المنطقة. وقد أدى هذا الوضع إلى انقسام السكان إلى فئتين:

السكان الخاضعون للسلطة المركزية:

وهم الفئة التي فضلت البقاء في المناطق السهلية، حيث اختارت التعامل مع السلطة العثمانية عبر وسطاء محليين، من شيوخ القبائل ومرابطيها، حفاظًا على نوع من الاستقرار وتجنبًا للمواجهة المباشرة[3] فتحولت الى قبائل مخزنية كقبيلة عمراوة وآت قاسي.

---

[1] فهيمة مبارك، المرجع السابق، ص 98.

[2] أرزقي شويتام، إمارة كوكو 1511، فعليات الملتقى الدولي حول المماليك الأمازيغ في العهد الإسلامي، بسكرة، أيام 21 ديسمبر 2010، المحافظة السامية الأمازيغية، 2011، ص 21.

[3] نبيل بومولة، المرجع السابق، ص 72.

السكان الممتنعون:

أما الفئة الثانية، فهي التي اختارت الاستقرار في المناطق الجبلية الوعرة مثل جبال جرجرة، ليسة، البيبان، وبابور، حيث وفّرت الطبيعة الحصينة لتلك المناطق ملاذًا آمنًا مكّن القبائل من مقاومة الخضوع للسلطة المركزية. وقد شكلت هذه الحصانة أحد العوامل الرئيسة التي حالت دون إخضاعهم، رغم المحاولات المتكررة للعثمانيين عبر حملات عسكرية متتالية، كان هدفها إما إخضاعهم بالقوة أو إرغامهم على دفع الضرائب كرمز للولاء. وقد كان هؤلاء السكان خاضعين، في الغالب، إما لسلطة إمارة كوكو أو لإمارة بني عباس[1].

ونظرا لابتعاد هذه المجموعات السكانية عن نفوذ السلطة المركزية وعدم اعترافها بسلطتهم فإن حكومة السلطة المركزية حاولت أن تحد من استقلالها وترغمها على مهادنة السلطة الحاكمة وذلك باتباع عدة طرق منها:[2]

1-تأسيس الأبراج والحاميات العسكرية:

قام العثمانيون ببناء بعض الأبراج في المناطق الحساسة من منطقة القبائل[3]، ومنها برجي سيباو وبوغني شيدهما علي خوجة الذي اشتهر بأنه كان مشيدا كبيرا، كما قام بتوسيع وتحصين مركز المراقبة القديم تيزي وزو الذي صار يدعى برج تيزي وزو، وقام فيها ثكنة مزودة ببعض المدافع بالإضافة إلى ذلك شيد العثمانيون برج بوغني، وبرج تيزي وزو، وبرج دلس، وبرج منايل[4].

بالإضافة إلى ذلك، قام حسن بن خير الدين ببناء حصنين استراتيجيين خلال حملته العسكرية ضد السلطان عبد العزيز، حيث بدأ بتحركه نحو السهوب الجنوبية واستولى على منطقة المسيلة، وشيد فيها حصناً لمراقبة المنطقة. ثم واصل تقدمه شمالاً، حيث أسس سنة

[1] محند أكلي آيت سوكي، تأثير قوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها ومواقفها في مختلف الجوانب الحيائية من القرة 10-13هـ/ 16-19م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006، ص 38.

[2] نبيل بومولة، المرجع السابق، ص 73.

[3] علي بن الشيخ، مملكة كوكو ...، المرجع السابق، ص 206

[4] محمد صغير فرج، المرجع السابق، ص 38.

1559م حصناً آخر أطلق عليه اسم "البرج"، والذي يُعرف اليوم باسم برج بوعريريج. وفي العام نفسه، وصلت القوات العثمانية إلى منطقة زمورة، فأنشؤوا فيها بدورهم حصناً محصنا أطلقوا عليه اسم "برج زمورة"[1]، وكان حسن بن خير الدين يهدف من وراء هذه التحصينات إلى:

-تأمين طرق المواصلات بين الجزائر وبابلك قسنطينة.

-إجبارهم على دفع الضرائب.

-تثبيت أقدام العثمانيين في النواحي الشرقية.

-الحيلولة دون قيام حركات تمردية لسكان المنطقة[2].

وعلى وجه العموم، يمكن القول إن الغاية الأساسية للعثمانيين من تشييد الأبراج كانت فرض الرقابة الصارمة على تحركات السكان المحليين. فقد عمدوا إلى إقامة هذه المنشآت العسكرية في سفوح الجبال والمناطق السهلية الزراعية، بهدف السيطرة على الأراضي الضيقة التي تُعد المصدر الرئيسي لمعاش السكان. ومن خلال هذا التحكم، كان من المتوقع أن يُجبر السكان على ترك أراضيهم السهلية والنزوح نحو المناطق الجبلية هرباً من الضرائب المفروضة عليهم.

وقد قوبل بناء هذه الأبراج برفض واضح من طرف السكان، الذين لم يترددوا في مهاجمتها كلما أتيحت لهم الفرصة، مستغلين الظروف المناسبة. أما فيما يتعلق بالحاميات العسكرية التي تمركزت في هذه الأبراج، فلم تنجح في إخضاع القبائل الجبلية، التي احتفظت بتنظيماتها الاجتماعية التقليدية المتمثلة في: مجلس الجماعة (تاجماعت tajmaɛt)، والقبيلة(lɛerc) ، والقرية(taddart) ، والوحدة القاعدية taxerrubt، والأسرة .(tawacult) ويُعزى فشل هذه

[1] تركية بوشريط، عائشة بن قيرش، بلاد زواوة خلال العهد العثماني (95-1246هـ/1500-1830م) دراسة سياسية، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي والحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة تيارت، 2014، ص 75.

[2] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، د.ط، ج2، الجزائر 2007، ص 39

الأبراج في تحقيق أهدافها أيضا إلى ضعف عدد القوات العثمانية المرابطة بها، مما قلّل من فاعليتها في بسط نفوذ الدولة على تلك المناطق الوعرة[1].

يمكن اعتبار الأبراج التي شيدها العثمانيون وسيلة فعالة نسبيًا لبسط نفوذهم على المناطق السهلية، نظرًا لسهولة مراقبتها والتحكم في تحركات سكانها. إلا أن هذه الأبراج لم تحقق الهدف ذاته في المناطق الجبلية، التي ظلت عصيّة على السيطرة بفعل طبيعتها الوعرة وتضاريسها الصعبة، إلى جانب المسالك الضيقة التي أعاقت تحركات القوات العثمانية. وتُعدّ إمارة كوكو نموذجًا بارزًا لتلك المناطق التي استفادت من حصانتها الطبيعية في الحفاظ على استقلالها عن سلطة الدولة المركزية[2].

2-إنشاء قبائل المخزن

كانت هذه التجمعات السكانية المتحالفة مع العثمانيين متنوعة في أصولها وأعراقها، حيث استقر بعضها بعد أن مُنح أراضٍ للسكن والاستقرار، في حين انضم البعض الآخر إليها كأفراد مغامرين أو متطوعين جاؤوا من مناطق مختلفة[3]، اعتمدت السلطة المركزية العثمانية هذا الأسلوب، خاصة في المناطق السهلية، من خلال تنظيم البلاد إلى بايلكات وأوطان وقرى وقبائل، والتي قُسّمت بدورها إلى قبائل مخزنية، وقبائل رعية، وقبائل متحالفة، وأخرى ممتنعة. ورغم اختلاف هذه التسميات، فإنها – في تقديرنا – تندرج جميعها تحت مسمى "قبائل الرعية" مع اختلاف درجات خضوعها للسلطة المركزية. وقد لعبت القبائل المخزنية دور الوسيط بين السكان والسلطة، وكانت من أهم الأدوات التي استعان بها العثمانيون لترسيخ سيطرتهم خصوصًا في المناطق الريفية، رغم محدودية عددهم[4]، تتسم هذه المناطق بطابعها الفلاحي

[1] علي بن شيخ، مملكة كوكو، ص ص 208-209.

[2] ناصر دين سعيدون، ورقات جزائرية وأبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط1، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، 2000، ص 295.

[3] المرجع نفسه، ص 106

[4] نبيل بومولة، المرجع السابق، ص 82.

المميز، حيث تنتشر في الأراضي الخصبة الواقعة بالمناطق التلية، وهو ما جعل موقعها الجغرافي عرضةً متكررةً للحملات العسكرية[1].

أدت قبائل المخزن دورا اقتصاديا بارزًا في المنطقة، خاصة بعد حصول أفرادها على امتيازات معينة، مثل الإعفاء من دفع الضرائب وتكليفهم بمهام محددة كتحصيل الموارد المالية الناتجة عن الضرائب المفروضة. كما لعبت هذه القبائل دورًا عسكريًا مهمًا ضمن جهاز السلطة العثمانية[2].

نجحت السلطة العثمانية في استمالة قبيلة قشطولة، التي كانت تعد من قبائل الرعية وتتمركز في منطقة بوغنين، كما تمكنت من كسب ولاء كل من قبيلة نزليوة الواقعة في أعالي وادي يستر، وقبيلة عمراوة المقيمة في أعالي وادي سيباو[3].

3-الحملات العسكرية:

عندما تعجز السلطة المركزية عن إخضاع منطقة معينة، فإنها تلجأ إلى استعمال القوة العسكرية كوسيلة لفرض هيبتها على السكان وإجبارهم على دفع الضرائب والرسوم. ويتم ذلك عبر تنظيم حملات عسكرية موجهة، إلى جانب الحملات الموسمية التي كانت تُشن بانتظام لبث الرعب في نفوس القبائل الممتنعة، وهي حملات غالبًا ما كانت واسعة النطاق وتهدف إلى تأكيد سيادة الدولة المركزية على المناطق الخارجة عن طاعتها[4] غالبًا ما كانت هذه الحملات العسكرية تنتهي بحصول السلطة على غنائم وفيرة وثروات طائلة، حيث لم تتوانَ عن استخدام وسائل التدمير المختلفة لإخضاع السكان، مثل حرق المزروعات، وتدمير المنازل وإتلاف الممتلكات والمؤن، وقطع أشجار الفواكه دون أي شفقة، فضلًا عن تخريب الأراضي الزراعية التابعة للقبائل المستهدفة. وكان الهدف من هذا النهج القمعي هو إرغام القبائل المتمردة على القبول بالصلح والخضوع للسلطة المركزية. وتحت وطأة الأوضاع الاقتصادية

[1] أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وتفاعلاته في العهد العثماني، دار الكتاب العربي للطباعة 2009 ص ص 234-236.

[2] فهيمة مبارك، المرجع السابق، ص 110.

[3] محند اكلي آيث سوكي، المرجع السابق، ص ص 39-40.

[4] نصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 272

المتدهورة والضغط النفسي والاجتماعي، غالبًا ما كانت هذه القبائل تُجبر في النهاية على الاستسلام.[1]

ومن أشهر وأهم الحملات العسكرية نذكر:

تُعد حملة الباي محمد بن علي، التي نُفّذت سنة 1167هـ / 1753–1754م، واحدة من أعنف الحملات العسكرية التي شنها العثمانيون ضد منطقة القبائل. قاد هذه الحملة الباي محمد، المعروف بلقب "الذباح"، حيث تمكن من تحقيق عدة انتصارات على قبائل ذراع الميزان بني دوالة، وبني واقنون. غير أن الحملة تعرضت لانتكاسة كبيرة عندما حاول الباي التوغل في المناطق الجبلية بهدف إخضاع قبيلة بني إيراثن؛ إذ دارت معركة ضارية بين الطرفين انتهت بمقتل الباي محمد. وقد شكّل هذا الحدث نقطة تحول حاسمة، إذ توقّف بعدها التوسع العثماني في المنطقة، ولم تتمكن السلطة المركزية من بسط نفوذها على القبائل المتحصنة في جبال جرجرة[2].

ومن خلال تتبّع السياسة العثمانية في التعامل مع القبائل المتمردة، يمكن الاستنتاج أن اللجوء إلى الحملات العسكرية لم يكن الخيار الأول، بل كان يُسبق عادة بعدّة خطوات تمهيدية. تبدأ هذه الإجراءات بالإنذار والتهديد في حال الامتناع عن دفع الضرائب أو إظهار العصيان. وإذا لم تُجدِ هذه الأساليب نفعًا، تنتقل السلطة إلى مرحلة التأديب، والتي تتمثل في التدخل العسكري المباشر ضد القبائل الرافضة للامتثال، سواء بسبب امتناعها عن دفع المستحقات المخزنية أو لقيامها بأعمال اعتُبرت تخريبية تهدد النظام القائم[3].

4-الاستعانة بالقوى الدينية

استقبل معظم المرابطين قدوم العثمانيين بترحيب، إذ رأى العثمانيون في رجال الدين والمتصوفة أقرب الحلفاء إليهم اجتماعيًا وروحيًا. فقد أولوا لهم مكانة خاصة، ولجأوا إليهم في

[1] نبيل بومولة، المرجع السابق، ص ص 86-87.

[2] محند اكلي آيت سوكي، المرجع السابق، ص 41.

[3] عبد الجليل رحموني، العلاقة بين السلطة المركزية والبايلكات في الجزائر العثمانية 1520–1830، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث المعاصر، قسم العلوم الإنسانية 2019، ص 196.

مختلف المناسبات، متبركين بهم، ومطلعين إياهم على تحركاتهم وخططهم، وهو ما يعكس مستوى عالٍ من الثقة المتبادلة والتقارب بين الطرفين [1]، اعتمد العثمانيون بشكل كبير على المرابطين وشيوخ الزوايا باعتبارهم وسطاء فعّالين بينهم وبين السكان المحليين، لما لهم من نفوذ واسع وكلمة مسموعة خاصة في المناطق الجبلية. وقد تحولت هذه الوساطة إلى ركيزة أساسية في السياسة العثمانية بالجزائر طيلة فترة حكم الإيالة.

وقد أشار حمدان خوجة إلى هذا الواقع خلال زيارته للمنطقة، بقوله: «وعلى الرغم من عدم وجود قانون ينظم خلافتهم أو يحد من تجاوزاتهم، وعلى الرغم من امتناعهم عن الخضوع لأي سلطان، فإن طاعتهم للمرابط طاعة لا يمكن تفسيرها.

انطلاقًا من هذا الإدراك، سعت السلطات العثمانية إلى كسب ود المرابطين واحترامهم إدراكًا منهم لقيمة هذا التأثير الروحي والاجتماعي في توطيد نفوذ الدولة. بل أصبح المرابطون يشكلون دعامة أساسية ساعدت على ضمان المرور الآمن عبر الطرق السلطانية باتجاه البايلك. وتؤكد بعض المصادر التاريخية أن الدولة العثمانية لم تكن قادرة على عبور جبال البيبان وجرجرة دون الحصول على ضمانات وحماية من مرابطين ذوي نفوذ، أمثال الشيخ مولود في بني يحيى وشيوخ زاوية شلاطة في أيلولة.

وقد أدرك العثمانيون منذ وقت مبكر الأهمية البالغة لهذا الدور، فخصّوا هؤلاء المرابطين بجملة من الامتيازات مقابل خدماتهم التي ساهمت في دعم الاستقرار وتسهيل التحكم في المناطق الوعرة[2] مثل بناء المساجد ومنحهم الهبات والأراضي الزراعية لزواياهم بالإضافة إلى تكليف بعض في أفرادها بجمع الضرائب والغرامات من قبائلهم [3]غير أن العلاقة الودية بين السلطة العثمانية والمرابطين لم تدم طويلًا، إذ بدأت في التدهور مع مطلع القرن الثامن عشر نتيجة توسع النفوذ التركي داخل المناطق الجبلية. فقد كانت هذه المناطق خاضعة تقليديًا لسلطة العائلات الإقطاعية المحلية، التي شعرت بتهديد مباشر لمكانتها ونفوذها بفعل التغلغل

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ج1، ص 464.

[2] محند أكلي آيت سوكي، المرجع السابق، ص 40

[3] أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص 189.

العثماني. وقد أدى هذا الصراع إلى تدهور العلاقات بين الحكم التركي وتلك الأسر النافذة التي لجأت لاحقًا إلى دعم حركات التمرد والثورات ضد السلطة المركزية، وشكلت بذلك أحد أبرز وجوه المعارضة خلال ما تبقى من العهد العثماني بالجزائر[1].

5-سياسة المصاهرة:

لجأ العثمانيون إلى وسيلة أخرى لتعزيز تحالفاتهم مع القوى المحلية، تمثلت في المصاهرة من خلال الزواج، غير أن هذه السياسة لم تلقَ قبولًا لدى السكان في بداية الأمر، إذ قابلتها الرعية برفض قاطع، معتبرة إياها تدخلاً في شؤونهم الداخلية ومساسًا باستقلاليتهم. ويتجلى هذا الموقف بوضوح في ردّ الأمير عبد العزيز على عرض خير الدين باشا، الذي، عقب عودته من انتصاره على الإسبان في مستغانم سنة 1558م، اقترح زواج ابن شقيقه حسين من ابنة الأمير، إلا أن الأخير رفض العرض قائلاً: 'إن البلاد ليست تركية حتى أُناسبك"، في تعبير صريح عن رفضه للوصاية العثمانية[2].

إن الهدف الأساسي للسياسة العثمانية هو ربط مصير القبائل المحلية ذات النفوذ السياسي والعسكري[3] أو الديني فالأتراك يريدون إيجاد حليف في منطقة القبائل لكي يحققوا بالزواج والسلم مالم يحققوه بالنار والحديد والقتل والعنف، وهو أن تصبح منطقة القبائل مسالمة أو على الأقل محايدة تجاههم لكي يمروا عبر طرقاتهم بالأمان[4].

المبحث الثاني: علاقة إمارة كوكو مع السلطة العثمانية

1-علاقات التحالف والتعاون:

تميزت العلاقة بين العثمانيين والسكان المحليين، منذ دخولهم إلى الجزائر، بطابع من التعاون والتحالف، خاصة في مواجهة العدو المشترك المتمثل في الإسبان. وقد تجلى هذا التعاون بوضوح في الدور الذي أدّته زاوية آل القاضي، التي نشأت حولها الإمارة، حيث لم

[1] نبيل بومولة، المرجع السابق، ص 75.

[2] المرجع نفسه، ص 85.

[3] عبد الجليل رحموني، المرجع السابق، ص 264.

[4] علي بن شيخ، مملكة كوكو، ص 214.

تقتصر وظيفتها على الجانب الديني فحسب، بل تعدّت ذلك لتضطلع أيضًا بمهام عسكرية على غرار العديد من الزوايا والرباطات المنتشرة في المنطقة، والتي كانت تمثل مراكز تعبئة ودفاع في وجه التهديدات الخارجية[1]، إذ عرفت الفترة الممتدة من (918هـ -924هـ 1512م-1518م) بالتحالف بين الطرفين[2]، وظهر ذلك في عدة مواقف حيث تذكر المصادر التاريخية أن فاتحة العلاقة بين بربروس و آل القاضي تعود إلى طلب أحمد القاضي المساعدة لتحرير مدينة بجاية في سنة 1512م[3]، استجاب الإخوة بربروس لنداء سكان المنطقة ومراسلة ابن القاضي، فتوجهوا نحو بجاية مدعومين بقوات أحمد بن القاضي ومقاتلين من القبائل المجاورة، بلغ عددهم حوالي 20 ألف رجل. وعلى الرغم من الحصار الذي استمر قرابة خمسة أسابيع، فإن الحملة لم تُحقق أهدافها وانتهت بالفشل. ومن بين أبرز التحالفات التي برزت في تلك الفترة، التحالف الذي جمع عروج بابن القاضي لتحرير مدينة جيجل من الاحتلال الجنوي، بعد تلقيهم نداء استغاثة من سكانها. ففي سنة 919هـ/1514م، شُنّ الهجوم على المدينة من البر والبحر؛ حيث بدأ القصف البحري، أعقبه إنزال عروج لقواته على اليابسة، حيث التقت مع قوات خير الدين وأحمد بن القاضي. وقد نجح هذا التحالف في السيطرة على المدينة، مما أتاح بداية تنظيم جديد للمنطقة، أعقبته محاولة أخرى لتحرير بجاية في السنة نفسها، لكنها انتهت بالفشل كذلك[4]، يتضح من خلال الأحداث أن العلاقة بين عروج بربروس وأحمد بن القاضي كانت أكثر من مجرد تحالف عسكري؛ بل اتسمت بوفاق تام وصداقة وثيقة، وهو ما أكده المؤرخ يوسف بن جيت بقوله: "لم يكن ابن القاضي حليفًا لعروج فحسب، بل صديقه الحميم"، وتتجلى متانة العلاقة بين عروج بربروس وأحمد بن القاضي في موقف فريد، حيث وجد عروج نفسه، على غير عادته، مضطرًا لطلب العون نتيجة الصعوبات المتتالية التي ألمّت به.

[1] سالم جوامع، آل بربروس وآل القاضي بين التحالف والصراع خلال القرن 16، مجلة الأنثروبلوجية الأديان، المجلد 16، العدد2، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2020، ص 106

[2] زدين قاسيمي، المرجع السابق، ص 44

[3] بسام العسالي، خير دين بربروس والجهاد في البحر 1476-1547 ، ط1 دار النفائس، بيروت، 1980، ص 91.

[4] صالح عباد، المرجع السابق، ص ص 44-45

وقد لبّى ابن القاضي هذا النداء دون تردد، فاستقبله في منزله وقدم له الدعم والمساندة في مختلف جهوده. وتعاهد الطرفان على الصداقة والتعاون، وتمكنا من فك الحصار عن بجاية سنة 1514م. ومن هذا السياق، يمكن الاستنتاج بأن علاقة أحمد بن القاضي بالعثمانيين كانت إيجابية منذ سنة 1512م، إذ يُعد أول من بادر بطلب الدعم منهم، مما يعكس مستوى الثقة والتقارب بين الجانبين في تلك المرحلة[1] .

وبعد مرور عامين على استقرار الإخوة بربروس في الجزائر، توفي ملك إسبانيا في 22 جانفي 1516م، وهو نفسه الذي كان قد أبرم معاهدة مع سليم التومي بتاريخ 31 جانفي 1510م. وبناءً على ذلك، سارع سليم التومي إلى مواجهة القوات الإسبانية التي خرقت بنود الاتفاق، مما أدى إلى تصاعد التوترات بين الطرفين [2]، فاستغاث سكان مدينة الجزائر بالإخوة بربروس لتحرير مدينتهم من الاسبان [3]، عندما وصل وفد يضم أعيان مدينة الجزائر وعلماءها المتذمرين من تصرفات شيخ المدينة سليم التومي، كانوا يحملون في طياتهم مطالب واضحة للتغيير، وقد حظوا بدعم من أحمد بن القاضي، أمير جبل كوكو، الذي بعث برسالة إلى عروج يعده فيها بتوفير الدعم المادي والمعنوي اللازم لطرد الإسبان من حصن الصخرة (قلعة البنيون)، الذي كان يتحكم في المداخل والمخارج الحيوية للمدينة[4].

توجه عروج نحو الجزائر على رأس جيش قوامه 2000 مقاتل بربري بقيادة أحمد بن القاضي، وذلك في إطار مساعيه لتحرير البلاد من السيطرة الأجنبية. ومن خلال تتبّع الأحداث، يتّضح أن ابن القاضي كان دائم الحضور إلى جانب عروج، مشاركا وشاهدا على مختلف المحطات المفصلية، من بينها مقتل سليم التومي وتولّي عروج الحكم، إلى جانب مشاركته في حملات شرشال وتنس وتلمسان، التي جاءت استجابةً لنداءات أمرائها. كما ترأس ابن القاضي وفدًا من الأعيان إلى الإستانة، ورافق عروج في حملته إلى تلمسان سنة 1518م

[1] أحمد ساحي، المرجع السابق، ص 91.

[2] عبد الحميد بن ابي زيان بن اشانهو، دخول الأتراك إلى الجزائر، المرجع السابق، ص 68.

[3] خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 74.

[4] ديهية دموش، المرجع السابق، ص ص 53-54.

بعد أن طلب الأخير الدعم لمواجهة الإسبان، حيث تمكّن جيش مشكّل من 3000 مقاتل من الزواوة من تحقيق النصر الأول وتحرير المدينة من سلطة الأمير الموالي للوجود الإسباني.[1]

وفي سنة 923هـ / 1518م، لقي عروج حتفه في معركة دارت بمنطقة وادي المالح الواقعة قرب مدينة تلمسان [2]، قرر خير الدين العودة إلى إسطنبول، غير أن أعيان مدينة الجزائر سعوا جاهدين لإقناعه بالبقاء، فأجابهم بمراسلة السلطان العثماني سليم الأول طالبا الدعم العسكري. وقد كان أحمد بن القاضي على رأس الوفد الذي توجه إلى إسطنبول لعرض هذا الطلب على السلطان[3].

بعد مقتل أحمد بن القاضي سنة 1527م، تولى شقيقه الحسين زمام الحكم، حيث بادر بعقد صلح مع خير الدين سنة 935هـ / 1529م، وهو الاتفاق الذي أسس لفترة من الهدوء النسبي استمرت حتى سنة 1541م [4].

في سنة 958هـ / 1552م، سعى صالح رايس إلى التقرب من آل القاضي، وذلك في أعقاب نشوب خلاف بين السلطنة العثمانية وسلطان بني عباس. وقد توصل الطرفان إلى اتفاق يقضي بدعم آل القاضي لصالح رايس في حملته العسكرية ضد بني عباس، إضافةً إلى مساندته في حملة تحرير بجاية التي تمت في سنة 961هـ / 1555م[5]، وقد أسفر هذا التحالف عن توطيد العلاقات بين الطرفين، مما أتاح لآل القاضي تعزيز نفوذهم الإقليمي، حيث امتد مجال سيطرتهم ليشمل المنطقة الواقعة بين دلس وبجاية. [6]

وتعزّزت أواصر المودة والتحالف بين الطرفين خلال الولاية الثانية لحسن بن خير الدين (963هـ – 970هـ / 1557م – 1563م)، حيث أُقيمت علاقات مصاهرة بين العائلتين

---

[1] أمال جعدي، المرجع السابق، ص 40

[2] وليام سيبنسر، المرجع السابق، ص 43.

[3] أحمد ساحي، المرجع السابق، ص 93.

[4] حنان بارودي، سلمة دحموني، إمارة كوكو في العهد العثماني (القرنيين 10هـ/16م/11هـ/17م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، جامعة النعامة، 2019، ص 48.

[5] صالح عباد، المرجع السابق، ص 75.

[6] زدين قاسيمي، المرجع السابق، ص 46.

تمثلت في زواج حسن بن خير الدين من إحدى بنات الحسين ابن القاضي سنة 967هـ / 1560م، كما تم تزويج فتاة أخرى من أسرة ابن القاضي إلى عائلة صديقه العلج علي[1].

قدم ابن القاضي دعمه للعثمانيين في حملتهم على المغرب الأقصى سنة 1559م، كما تحالف حسن باشا مع حليفه ملك كوكو وجمعا قواتهما للتوجه نحو قلعة بني عباس بهدف تأديب السلطان عبد العزيز، وذلك بفرقة عسكرية قوامها 1500 مقاتل، وقد انتهت هذه الحملة بمقتل السلطان العباسي سنة 1559م. وفي سنة 1563م، قدّم أمير كوكو دعمه لحسن آغا عبر إرسال 1000 فارس، إلا أن الحملة انتهت بمقتل قائد الزواوة، الذي كان صهر الحسين ابن القاضي. وفي سنة 1569م، شارك أمير كوكو وسلطان بني عباس في حملة عسكرية إلى جانب علج علي، قوامها 6000 فارس من البربر، بهدف استرجاع تونس من السيطرة الإسبانية[2]، كما شارك آل القاضي في الحملة العسكرية التي قادتها القوات العثمانية سنة 1575م نحو المغرب الأقصى، حيث قدموا دعمًا عسكريًا قوامه 1000 فارس، وذلك لتأديب السلطان مولاي مالك الذي كان مقيماً على عرشه بمدينة فاس [3]، وقد نال أهل زواوة امتيازات متعددة، من بينها حرية التنقل والإقامة في مدينة الجزائر، بالإضافة إلى السماح لهم بحمل السلاح داخلها، وذلك مقابل منح الأتراك حق المرور عبر أراضيهم باتجاه بايلك الشرق [4].

بعد نجاح الحملة التي قادها خشرف باشا سنة 1624م ضد الإمارة، تمكن من إخضاع المنطقة لسلطة الدولة العثمانية، وفرض عليها ضرائب ثقيلة عززت من نفوذ الإدارة المركزية في تلك الأنحاء [5]، استغل باشوات الجزائر تلك الأوضاع لصالحهم، حيث بادر علي بتشين أحد رياس البحر والذي توفي سنة 1054هـ / 1645م—بعقد اتفاق مع قبائل الزواوة، مفضلاً انتهاج سياسة التعاون والتحالف كما سار على نهج من سبقوه في الحكم. ومن بين وسائل

[1] سالم جوامع، المرجع السابق، 116.

[2] أمال جعدي، المرجع السابق، ص 55.

[3] زدين قاسيمي، المرجع السابق، ص 48.

[4] نسيمة بودبية، المرجع السابق، ص ص 53-54.

[5] زدين قاسيمي، مرجع السابق، ص 56.

تدعيم هذا التحالف، لجأ إلى المصاهرة عبر زواجه من ابنة حاكم إمارة كوكو، ما عزز أواصر الثقة والتقارب بين الطرفين[1].

من الحقائق المهمة التي يغفل عنها الكثيرون أن الطواقم التي كانت تؤلف السفن المنطلقة من موانئ جيجل وبجاية كانت تتكون في الغالب من رجال القبائل، المعروفين بقدرتهم العالية على تحمل المشاق. وقد ساهم إدماج العنصر القبائلي في القوات البحرية والبرية في تعزيز قوة وهيبة الجيش العثماني في الجزائر، على غرار ما كانت تقوم به قرطاجة في العصور القديمة. وقد أدى ذلك إلى تطور ملحوظ في الأسطول البحري العثماني في الجزائر.

إلى جانب ذلك، كانت منطقة القبائل تزخر بثروات غابية كبيرة، حيث لعبت عائلة آث القاضي، الحاكمة في مملكة كوكو، دورًا محوريًا في استغلال هذه الموارد، لاسيما في عهد خير الدين. فقد تم إرسال الأخشاب إلى ورشات بناء السفن في الجزائر وبجاية، وساهم ابن القاضي بشكل خاص في توسيع ورشات بناء السفن في جيجل، ما أدى إلى دعم الصناعة البحرية وتعزيز القدرات البحرية للدولة العثمانية في المنطقة[2].

2-علاقات النزاعات والحروب:

عند توليه الحكم، قام خير الدين بإعادة هيكلة المملكة، فقسّمها إلى قسمين إداريين: القسم الشرقي، الذي يمتد من شرق العاصمة الجزائر إلى حدود المملكة الحفصية بتونس وأسند إدارته إلى رفيقه في الجهاد وصديقه المقرّب أحمد بن القاضي؛ أما القسم الغربي، فقد وضعه تحت إشراف السيد محمد بن علي. وقد استند خير الدين في هذا التقسيم إلى قناعة مفادها أن إسناد السلطة إلى زعماء محليين موثوقين من أبناء البلاد من شأنه أن يضمن استقرار القبائل ويكفل الهدوء، نظراً لما يحظى به هؤلاء القادة من شرعية وتأثير ضمن مجتمعاتهم[3].

[1] أحمد ساحي، المرجع السابق، ص 56.

[2] علي بن شيخ، مملكة كوكو، المرجع السابق، ص ص 204-205.

[3] عبد الحميد بن أشنهو، المرجع السابق، ص 148.

بعد انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية، اندلع الصراع بين خير الدين باشا وأحمد بن القاضي، وامتد من سنة 925هـ / 1520م إلى غاية 932هـ / 1527م. غير أن جذور هذا التوتر تعود في الحقيقة إلى سنة مقتل عروج بربروس، إذ كان خير الدين يعتقد أن ابن القاضي يتحمل جزءًا من المسؤولية في مقتل شقيقه، وهو ما شكّل بداية التصدع في العلاقة التي كانت في السابق مبنية على التحالف والتعاون المشترك[1].

كان خير الدين يدرك أن التهديد الحقيقي لسلطته قد يصدر من ملوك تونس وتلمسان، لذلك شرع في وضع استراتيجية تهدف إلى إخضاع هذين القطرين لنفوذه، تحسبًا لأي تحالف أو تحرك قد يهدد استقرار سلطته في الجزائر [2].

وفي هذا السياق، أعلن أحمد بن القاضي تمرده بعد أن شعر بتعاظم قوته ونفوذه، فانضم إلى الحفصيين ملوك تونس، معتمدًا على ما كانوا يقدّمونه له من دعم ومساندة، وذلك في محاولة لتحريض القبائل ودفعها إلى مناهضة السلطة العثمانية [3]من أجل القضاء على الأتراك في الجزائر بعد ارتباط هؤلاء بالدولة العثمانية وعدم استقرارهم[4].

سعى ابن القاضي إلى توسيع نفوذه، إذ لم يرضَ بالاكتفاء بمنصبه كنائب على منطقة الشرق الجزائري بأكملها، بل كانت تطلعاته تتجاوز ذلك المنصب، متطلعًا إلى سلطة أوسع ونفوذٍ أكبر [5] تحولت علاقة الصداقة والتحالف التي جمعت بين خير الدين وابن القاضي إلى عداوة شديدة، رغم ما قدمه هذا الأخير من خدمات جليلة أولًا لعروج ثم لأخيه خير الدين. ويمكن رصد عدد من العوامل التي ساهمت في تفاقم هذا الخلاف بين الحليفين السابقين، من أبرزها:

---

[1] سالم جوامع، المرجع السابق، ص 113.

[2] نسيمة بودية، المرجع السابق، ص 51.

[3] سامح ألثر، عبد العزيز الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص 75.

[4] عبد الحميد بن أشنهو، المرجع السابق، ص 148

[5] محمد دراج، المرجع السابق، ص 343.

- استشهاد عروج سنة 1518م، وهو الحدث الذي مثّل نقطة تحول في العلاقة بين الطرفين.
- سعي ابن القاضي إلى الانفصال عن السلطة المركزية، من خلال إعادة تنظيم جيشه وتطوير أسطوله البحري، وتهيئة ميناء أزفون ليكون قاعدة لإعلان الاستقلال.
- انسحابه المفاجئ من معركة بني سناسن وعودته إلى منطقة القبائل مع قواته، مما ترك عروج في مواجهة مصيره المحتوم، وهو ما اعتبره خير الدين نوعًا من الخيانة أو التخاذل[1].

رغم اتفاق معظم الروايات التاريخية على أن أحمد بن القاضي هو من انقلب على خير الدين، إلا أن الأخير يورد في مذكراته رواية مختلفة، حيث يحمّل المسؤولية لابن القاضي الابن لا الأب. ويُستدل على ذلك من قوله:" توفي هذا الرجل العاقل وحل محله ولده الطائش يدعى ابن القاضي أيضًا" ، في إشارة واضحة إلى أن من تمرد وتحالف مع الحفصيين وأعلن العداء للعثمانيين لم يكن أحمد بن القاضي نفسه، وإنما نجله الذي تولى القيادة من بعده"[2].

توجّه خير الدين لأول مرة إلى منطقة القبائل، وبالتحديد نحو بلاد بني عباس، حيث أبرم اتفاقا معهم، وذلك في إطار استعداده لمواجهة ابن القاضي [3]، تمكن الجيش بقيادة حسين قارة من طرد ملك كوكو من جباله، ولاحقه إلى غاية مدينة القل، حيث ألحقت الحملة هزيمة قاسية بأحمد بن القاضي وأتباعه، مما اضطره إلى الفرار نحو عنابة لتضميد جراحه وإعادة تنظيم قواته. وبعد إعادة بناء جيشه، عاد ابن القاضي إلى ساحة المعركة على رأس قوات معظمها تونسية، مدعومة بعدد من أعراش جرجرة، متجهًا نحو مدينة الجزائر سنة 1520م. غير أنه اضطر إلى تأجيل الهجوم بسبب حلول فصل الشتاء، فعقد صلحًا مؤقتًا مع خير الدين. إثر ذلك، خرج خير الدين لمواجهة السلطان الحفصي، وحدث اللقاء في سهل يسر

[1] ديهية دموش، المرجع السابق، ص 55.

[2] خير الدين، المصدر السابق، ص 48.

[3] حنان بارودي، المرجع السابق، ص 48.

حيث حقق الجيش الإنكشاري في بداية المعركة انتصارًا بارزًا ألحق خسائر فادحة بالجيش التونسي، ما اضطره إلى التراجع نحو مرتفعات فليسة أم الليل.

في تلك الفترة، قدم أحمد بن القاضي إلى خير الدين متظاهرًا بالصداقة، واقترح عليه الصعود إلى الجبل من أجل القضاء على قوات العسكر التونسي. وبالفعل، استجاب الجيش لهذا المقترح وصعد مع ابن القاضي، غير مدرك أن الأمر لم يكن سوى خطة مدبرة بإحكام للإيقاع بجيش خير الدين. فقد عمد ابن القاضي إلى تقسيم قواته إلى قسمين: أحدهما صعد مع جيش خير الدين، بينما بقي القسم الآخر متربصًا مع القوات المحلية. وعندما همّ خير الدين بشن الهجوم، نفّذ ابن القاضي خطته، فهاجمت جماعته المعسكر الرئيسي لجيشه وقضت على من فيه. أما القوات التي كانت على الجبل، فوجدت نفسها محاصرة بين فكي كماشة ولم ينجُ من تلك المكيدة إلا خير الدين نفسه [1]، غير أن الهزيمة التي مُني بها خير الدين اضطرته إلى الانسحاب نحو مدينة جيجل، بينما استغل أحمد بن القاضي هذا الانتصار لبسط نفوذه على كامل المنطقة الممتدة بين قسنطينة وتلمسان. وقد استمر هذا الوضع لمدة خمس سنوات، من سنة 1520م إلى غاية 1525م، حيث فرض سيطرته الفعلية على هذه الرقعة الجغرافية، مؤسسًا نوعًا من الحكم الذاتي بعيدًا عن سلطة العثمانيين[2].

تمكن خير الدين من استجماع قواه مجددًا وشنّ هجومًا ناجحًا على مدينة الجزائر، حيث دخلها منتصرا برفقة أتباعه. ومن هناك، توجّه لمواجهة أحمد بن القاضي في معركة حاسمة انتهت بمقتله في منطقة ثنية بني عيشة بضواحي شرق الجزائر، وذلك سنة 1527م [3].

[1] أمال جعدي، المرجع السابق، ص ص 40-45-46.

[2] ديهية دموش، المرجع السابق، ص 56.

[3] نور دين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنهاء العهد التركي، دار الحضارة الجزائر، 2006، ص 170.

عقب مقتل أحمد بن القاضي، تولّى شقيقه الحسين زمام الحكم في الإمارة، وسعى إلى مواصلة الصراع ضد العثمانيين، إلا أن مكانته لم ترقَ إلى مكانة سلفه؛ إذ شهدت صفوف الزواوة تشتتًا واضحًا بعد فقدان زعيمهم الأول [1].

عادت بوادر التوتر والصراع إلى الواجهة ابتداءً من سنة 1541م، إثر تآمر حاكم كوكو مع الإمبراطور الإسباني شارلكان بهدف شن هجوم على مدينة الجزائر. وقد أثار هذا التحالف حفيظة حسن آغا، الذي سرعان ما تحرك للرد على ذلك، حيث قاد في أواخر أفريل من سنة 1542م حملة عسكرية مكوّنة من 3000 جندي تركي، و2000 فارس، و100 من المشاة إضافة إلى 12 مدفعًا، متوجهًا بها نحو أراضي سلطان كوكو لتأديبه[2]، وأمام القوة العسكرية الكبيرة التي تقدم بها حسن باشا، سارع سلطان كوكو إلى إظهار الخضوع والاسترحام، طالبًا العفو مقابل أداء ضريبة كبيرة تمثلت في مبالغ مالية معتبرة، وعدد كبير من رؤوس الثيران والجمال والأغنام. وقد قَبِل حسن باشا ذلك العرض، فعفا عنهم، لكنه اتخذ احتياطاته فأخذ ابن سلطان كوكو رهينة لضمان ولائه مستقبلا [3].

ومن أبرز نتائج حملة حسن باشا أن المنطقة خضعت مباشرة لحكم الإيالة بدار السلطان قبل أن تُلحق لاحقًا ببايلك التيطري. غير أن محمد بن محمد القاضي لم يتخل عن طموحاته ففي نفس السنة جدّد اتصالاته مع الإسبان، عبر مراسلات بعث بها إلى الإمبراطور شارلكان عبّر فيها عن رغبته في عودة الإسبان وشن حملة على مدينة الجزائر، مقابل إعلان ولائه لهم. وكان هدفه من ذلك توسيع نفوذه على كامل منطقة زواوة، والتخلص من خصمه أمير بني عباس، وكذلك من السيطرة العثمانية[4].

برز التباعد بين السلطة العثمانية في الجزائر وإمارة كوكو بشكل واضح ابتداء من سنة 1595م، حيث تولى عمر بن القاضي الحكم سنة 1583م خلفًا لمحمد بن أحمد القاضي. وقد شهدت الإمارة في عهده تراجعًا في نفوذها، بالتوازي مع مساعيه لنسج علاقات خارجية

[1] حنان بارودي، المرجع السابق، ص 48.

[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص 69.

[3] ألثر سامح، المرجع السابق، ص 168.

[4] أمال جعدي، المرجع السابق، ص ص 53-54.

خاصة مع ملك إسبانيا فرديناند الثاني. وتُوجت هذه المساعي بمراسلات متبادلة بين الجانبين دامت بين سنتي 1589م و1610م، مما يعكس توجّه عمر بن القاضي نحو سياسة مستقلة عن العثمانيين[1]، ومن بين هذه المراسلات، برزت رسالة مؤرخة بسنة 1011هـ / 1603م وجهها عمر بن القاضي إلى ملك إسبانيا، أعرب فيها عن رفضه للصلح مع السلطة العثمانية، مستنكرًا الهجوم الذي شنّه العثمانيون على منطقة القبائل. كما طلب من الملك الإسباني تقديم دعم عسكري يتمثل في إرسال 200 جندي، مُحرّضًا إياه على اغتنام الفرصة لاحتلال مدينة الجزائر، ومبررا في الوقت ذاته ما تعرض له الجنود الإسبان في ميناء أزفون خلال تلك الفترة[2].

كما وجه عمر بن القاضي رسالة ثانية إلى ملك إسبانيا سنة 1610م، عبّر فيها عن رغبته في إقامة تحالف عسكري وسياسي ضد العثمانيين، مؤكّدًا استعداده للتعاون مع التاج الإسباني من أجل تقويض النفوذ التركي في منطقة القبائل وإعادة التوازن الإقليمي لصالح القوى المسيحية [3]، وقد أوضح عمر بن القاضي في رسالته الثانية أن ما وقع للجنود الإسبان في وقت سابق لم يكن نتيجة خيانة من طرفه، بل كان نتيجة خديعة دبّرها مرابطة بني جناد. غير أن الإمبراطور الإسباني لم يُعر هذا التوضيح أي اهتمام، ولم يردّ على رسالته، الأمر الذي يعكس فتورًا في العلاقات بين الطرفين رغم مساعي عمر بن القاضي المستمرة".

"ويبدو أن مرابطة بني جناد، وعلى رأسهم سيدي منصور، قد كشفوا خيوط هذه المؤامرة التي كان ينسجها عمر بن القاضي مع الإسبان، فأبلغوا السلطات العثمانية التي سارعت إلى التدخل سنة 1618م عند نزولهم في بني جناد، حيث تلقّوا الدعم من السكان المحليين الرافضين لهذا التقارب. ومردّ ذلك إلى استيائهم من خروج آل القاضي عن تقاليد العيش البسيط التي طالما ميّزت إمارة كوكو، إذ باتوا يقلدون الأتراك في أنماط الحكم والحياة، واتخذوا من العاصمة

[1] أمال جعدي، المرجع السابق، ص 56

[2] (H) genvois legend des rois de koukou fechier periodique N 121 1974 ,p6

[3] نبيل بومولة، المرجع السابق، ص 96

مقرًا لهم، وهو ما اعتبر انقلابا على القيم القديمة المرتبطة بالزهد والتقشف، لصالح نمط جديد قائم على الترف والسلطة[1].

استمر عمر بن القاضي في عدائه للسلطة العثمانية طيلة فترة حكمه، إلى أن لقي مصرعه في ظروف غامضة سنة 1026هـ/1618م أو 1027هـ/1619م، حيث تباينت الروايات بشأن هوية قاتله؛ إذ يرجّح البعض أن يكون مقتله قد تم على يد أحد أقاربه، إما شقيقه أحمد بوختوش أو أحد أحفاده، مما يجعل تحديد الجهة الفاعلة بدقة أمرًا غير محسوم في المصادر التاريخية[2].

رغم ما شهدته إمارة كوكو من ازدهار اقتصادي خلال عهد عمر بن القاضي، خاصة بعد نقل عاصمتها إلى جمعة الصهاريج، إلا أنها دخلت مرحلة من التراجع والضعف بداية من أواخر القرن السابع عشر. وقد ارتبط هذا التدهور بانقسام بيت القاضي إلى فرعين متنافسين: فرع آل القاضي، وفرع بوختوش بقيادة أحمد بن عمر المعروف بلقب 'التونسي'، ما ساهم في إضعاف وحدة الإمارة وتقليص نفوذها السياسي[3] ، وقد أثار فرع بوختوش جدلاً واسعًا بين الباحثين والمؤرخين، لما يكتنفه من غموض وتساؤلات حول أصوله الحقيقية؛ إذ لم يُحسم إلى اليوم ما إذا كانت شخصيات هذا الفرع تنحدر فعلاً من بيت القاضي، أو أنها تمثل فرعًا جانبيًا من الأسرة، أو ربما شخصيات نافذة استطاعت فرض نفوذها في ظل حكم عمر بن القاضي.

لم يتمكن المؤرخون من تقديم تفسير قاطع أو موثوق لهذه الفرضيات التي ظلت موضع نقاش مفتوح. وفي المقابل، يذهب بعض الباحثين إلى أن نسب فرع بوختوش يعود إلى السيد محند بن سي عمر القاضي، المعروف أيضًا بلقب 'البْتونسي"[4]، وقد تمكنت والدة الطفل، التي كانت حاملاً آنذاك، من الفرار إلى تونس، حيث وضعت مولودها هناك. ومنذ ذلك الحين أصبحت هذه السلالة تُعرف باسم "أولاد ختوش"، وهم الفرع الذي يُنسب إلى آل القاضي. ومع مرور الوقت، وابتعادهم عن موطنهم الأصلي بعد مقتل عمر بن القاضي، حافظت هذه العائلة

[1] أمال جعدي، المرجع السابق، ص 57.

[2] محمد صغير فرج، المرجع السابق، ص 34.

[3] ديهية دموش، المرجع السابق، ص 59.

[4] أمال جعدي، المرجع السابق، ص 61

على انتمائها إلى بيت القاضي رغم الظروف السياسية المتقلبة [1] وقد تمكن ابنها، بعد أن اشتد عوده، من العودة إلى كوكو برفقة عدد من أنصاره، ساعيًا إلى استرجاع ملك والده الذي قُتل سنة 1619م، مستندًا في ذلك إلى شرعيته النسبية ودعم مؤيديه لاستعادة السلطة المسلوبة [2] فقام بعد عودته بنقل مقر إقامته من كوكو إلى منطقتي أورير وأوسلام، وذلك منذ سنة 1046هـ / 1636م، مستقراً ببني غبري، في خطوة عكست رغبته في ترسيخ سلطته وإعادة بناء قواعد نفوذه في منطقة زواوة [3] إلى غاية 1893 وهذا بعد توجيه خشرف باشا حملة منذ الإمارة سنة 1624م، التي توغلت جريرة ووصلت إلى عاصمة الإمارة كوكو التي بقوا فيها أكثر من 10 سنوات[4] وقد فرضوا على صاحب المنطقة ضريبة باهظة، ومكثوا فيها إلى غاية سنة 1044هـ / 1634م، حيث خضعت المنطقة لنفوذهم خلال هذه الفترة الزمنية. وتمكنوا من بسط سيطرتهم المحكمة على الأوضاع، من خلال مراقبة الأسواق والطرق التجارية، واستغلال الموارد المحلية إضافة إلى تأمين خطوط الاتصال بين بايلك الشرق ودار السلطان[5] ، وقد تعرضت إمارة كوكو إلى ضربات داخلية أثّرت سلبًا على استقرارها، كما تناقص أنصارها وضعفت مواردها الاقتصادية، خاصة بعد سنة 1211هـ / 1696م، حيث انحصر نفوذها في نطاق محدود شمل بعض قبائل سيباو العليا.

وشهدت أسرة بوختوش مزيدًا من الانقسامات بعد عودة أحمد التونسي سنة 1042هـ / 1632م، ما أدى إلى اشتداد الخلافات الداخلية والتفكك العائلي، وهو ما انعكس في تفرّع الأسرة إلى عدة فروع. وقد تجلّى هذا الانقسام في تعدد مقرات الإمارة، حيث ظهر مقر أورير وأشلام بين سنتي 1632م و1758م، ومقر بنو جناد وتامقوس وتامدة وآيت بين سنتي 1696م و1757م، إلى جانب مقر بني شعيب وجمعة الصهاريج والسوامة (1696م–1756م)، ومقر الأربعاء آيث إراثن (1696م–1757م)[6]، عقب وفاة أحمد التونسي، انقسمت عائلة بوختوش

[1] ديهية دموش، المرجع السابق، ص 59

[2] زيدين قاسيمي، المرجع السابق، ص 24

[3] أمال جعدي، المرجع السابق، ص 62

[4] زيدين قاسيمي، المرجع السابق، ص 24

[5] زيدين قاسيمي، المرجع السابق، ص ص 24–25

[6] أمال جعدي، المرجع السابق، ص 63.

إلى جناحين متصارعين: الجناح العلوي الذي تزعمته قايدة أورخو، والجناح السفلي بقيادة سي علي، الابن الثاني لأحمد التونسي. وقد دخل الطرفان في صراع داخلي تحوّل إلى مواجهة فعلية، وهو ما انعكس بشكل واضح على استقرار الإمارة، حيث تراجعت قدرتها على بسط سيطرتها، وانحصر نفوذها في مناطق محدودة شملت أعالي سيباو وبعض قبائل الساحل البحري[1]

المبحث الثالث: علاقة بني عباس بالسلطة العثمانية

1-الاتصالات الأولى بين آل مقران والأتراك

أدرك العثمانيون منذ الوهلة الأولى أهمية كسب تحالف كل من زعيم إمارة كوكو وسلطان بني عباس، أو على الأقل أحدهما، لما لهذين الزعيمين من نفوذ قوي وتأثير بالغ على السكان ضمن المناطق الواقعة تحت سلطتهما. ورغم شح المعلومات الدقيقة التي تحدد تاريخ بداية العلاقة بين سلاطين بني عباس والسلطة العثمانية، فإن المصادر المعاصرة لم تفصل في هذا الجانب. غير أن المؤرخ الإسباني هايدو يرجّح أن أول تحالف رسمي بين الطرفين يعود إلى سنة 936هـ / 1529م، مستندًا في ذلك إلى رسالة مؤرخة بنفس السنة، وجّهها حاكم بجاية الإسباني إلى حكومته في مدريد، يحذر فيها من تحالف وُصف بالخطير، جمع بين خير الدين بربروس، وزعيم بني عباس، وابن القاضي[2]، أما المؤرخ مرمول، فيُرجع أول تحالف فعلي بين سلاطين بني عباس والعثمانيين إلى سنة 957هـ / 1550م، وذلك من خلال مساهمة بني عباس في دعم الجيش العثماني بقيادة حسن باشا خلال حملته العسكرية ضد المغرب الأقصى.

ويُستدل من ذلك على أن العلاقة بين الطرفين قد تطورت من مجرد تقارب ظرفي إلى تنسيق عسكري مباشر في مواجهة قوى إقليمية منافسة،[3] في حين يرى المؤرخ شارل أندري جوليان أن أول اتصال بين سلاطين بني عباس والعثمانيين يعود إلى سنة 1516م، وهو ما يبرر، حسبه، تدخل عروج بربروس في النزاع القائم آنذاك بين إمارة كوكو وسلاطين بني

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص 113.

[2] نبيل بومولة، المرجع السابق، ص 69.

[3] مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 386.

عباس. ويُروى أن عروج قد تدخل لصالح بني عباس في الوقت المناسب، حيث قدم لهم الدعم العسكري والنصائح الاستراتيجية التي رجّحت كفّتهم في الصراع[1]، وقد عزز هذا الطرح المؤرخ الجزائري يحيى بوعزيز في مؤلفه *ثورة الباشا*، حيث أشار بدوره إلى أن صلة المقرانيين بالعثمانيين تعود إلى سنة 1516م، أي قبل الإلحاق الرسمي للجزائر بالدولة العثمانية، مما يدل على وجود علاقات مبكرة وتحالفات سابقة للتنظيم الإداري العثماني في البلاد [2].

2-فترة السلم والتعاون

تمتعت إمارة بني عباس بقوة ونفوذ بارزين، لاسيما خلال الفترة العثمانية، حيث أدت دورًا محوريًا في التوازنات الإقليمية بالجزائر. وتعود أولى محاولات التقارب بينها وبين العثمانيين إلى عهد الأخوين عروج وخير الدين. ففي محاولته الثالثة لاستعادة مدينة بجاية، وبعد فشل عروج في المحاولتين السابقتين عامي 869هـ/1512م و871هـ/1514م، سعى خير الدين إلى استمالة دعم زعيم بني عباس. ورغم قيام هذا التحالف، إلا أن المحاولة لم تُكلَّل بالنجاح، مما يُبرز تعقيدات المشهد السياسي وتحالفاته المتغيرة آنذاك[3]، حيث استغل المقرانيين فجوة الفراغ السياسي والعسكري الذي خلفه منافسة أمير كوكو[4].

وهكذا بدأت ملامح التحالف والتعاون السياسي بين الأمير عبد العزيز، زعيم إمارة بني عباس، وخير الدين باشا، الذي لم يكن قد أحكم بعد سيطرته على الحكم في الجزائر. فقد واجه الطرفان تحديات داخلية جسيمة تمثلت في تآمر بعض القوى المحلية المتحالفة مع الإسبان أو مع الدولة الحفصية في تونس. وقد كان لهذا التحالف أثر بالغ، إذ مثّل دعم الأمير عبد العزيز بصيص أمل جديد لخير الدين، بعد أن كادت انتكاساته، خاصة تمرد أمير كوكو وهزيمته في معركة فليسة أم الليل – كما أُشير سابقًا – أن تجهض طموحاته. وقد استعان خير الدين بسلطان بني عباس في حملاته التي شنها انطلاقًا من قاعدته بجيجل، ما منح التحالف بُعدًا

[1] شارلر أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية تونس الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م تع: محمد مزالي البشير بن سلامة ج2، ط2، الدار التونسية للنشر تونس 1983، ص 327.

[2] أمال جعدي، المرجع السابق ص66.

[3] نبيل بومولة، المرجع السابق، ص 100

[4] أمال جعدي، المرجع السابق، ص 66

عسكريًا واستراتيجياً بالغ الأهمية [1]، وقد تمكن خير الدين، بدعم من الأمير عبد العزيز، من استعادة السيطرة على مينائي القل وعنابة سنة 1520م، كما نجح في تأمين الطريق الرابط بين الجزائر وجيجل، مما أتاح له التفرغ لخطته الاستراتيجية الرامية إلى تحرير صخرة البنيون بميناء الجزائر. هذا النجاح الميداني زاد من ثقة الزعيم المحلي، عبد العزيز، في قدرات القائد العثماني، ومتن أواصر التحالف بين الطرفين. وقد واصل عبد العزيز دعمه المخلص لخير الدين، ثم لخلفائه من القادة العثمانيين، مساهماً في تحرير الموانئ الجزائرية وتعزيز التوسع العثماني باتجاه الداخل[2].

واستمرت علاقات الصداقة والتحالف بين الأمير عبد العزيز وخير الدين باشا حتى سنة 983هـ/1534م، حين استُدعي الأخير من طرف السلطان العثماني إلى إسطنبول لتولي قيادة الأسطول العثماني. وقد خلفه في حكم إيالة الجزائر آنذاك حسن آغا، مستكملاً بذلك مسيرة الحكم بعد مغادرة خير الدين[3] الذي واصل جهود خير الدين في توحيد البلاد وإقرار الأمن.

ويورد مولود قايد – دون أن يشير إلى المصادر التي اعتمد عليها – أن البايلرباي حسن آغا قد اعترف بسلطة السلطان عبد العزيز على المناطق التي كان يحكمها، وذلك نظير نجاحه في صدّ حملة الإمبراطور شارل الخامس على مدينة الجزائر سنة 1541م. وفي سنة 1542م قرر البايلرباي حسن آغا معاقبة أمير كوكو، الحسين بن القاضي، بسبب تآمره مع شارل الخامس، فاستعان بالسلطان عبد العزيز الذي قدّم له الدعم العسكري، ما مكّن القوات العثمانية من القبض على الأمير وهزيمته. وبعد وفاة حسن آغا سنة 1544م، خلفه في الحكم حسن باشا، نجل خير الدين، حيث استمرت علاقات التحالف والود بينه وبين السلطان عبد العزيز[4] أبدى الشيخ عبد العزيز تجاوبًا كاملاً مع السياسة العثمانية، حيث عبّر عن استعداده التام للتعاون مع العثمانيين في تحرير الثغور الجزائرية من السيطرة الأجنبية. وفي هذا الإطار شارك إلى جانب القائد حسن باشا في الحملة العسكرية ضد مدينة مستغانم سنة

[1] نبيل بومولة، المرجع السابق، ص 102

[2] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 126.

[3] نبيل بومولة، المرجع السابق، ص 103

[4] ثرية بن قومار، المرجع السابق، ص 40.

952هـ/1545م، حيث قدّم دعمًا عسكريًا هامًا تمثل – بحسب بعض المصادر – في نحو 2000 فارس. وقد كان لهذا الدعم أثر حاسم في تحقيق النصر على قوات أبناء سلطان المغرب، مما عزّز من مكانة الشيخ عبد العزيز في التحالف القائم مع الدولة العثمانية[1]، وساهم الشيخ عبد العزيز مجددًا في دعم الجهود العثمانية ضد التوسع الإسباني، إذ شارك في الحملة التي قادها حسن باشا بن خير الدين ضد الإسبان في وهران سنة 955هـ/1550م، بعد الاتفاق الذي تم بينه وبين الشريف المهدي بشأن تحرير المدينة. وقد شكّل هذا التحالف نموذجًا للتنسيق بين القوى المحلية والدولة العثمانية، حيث جند حسن باشا قوة ضاربة تضمّنت خمسة آلاف جندي تركي مسلحين بالبنادق، وألف صبايحي، بالإضافة إلى ثمانية آلاف مقاتل من زواوة كانوا تحت قيادة السلطان عبد العزيز، ما عكس المكانة العسكرية والرمزية التي بات يحظى بها هذا الأخير داخل المنظومة العثمانية في الجزائر[2] ، وحسب ما ذكره مارمول حيث أشار إلى قوة وشجاعة بني عباس وكفاءة جيشه وبفضلهم تمكن الأتراك من تحقيق أمور عظيمة[3].

ويشير مارمول إلى أن مشاركة السلطان عبد العزيز وجيشه إلى جانب القوات العثمانية في الحملة العسكرية على تقرت وورقلة مكّنت العثمانيين من التعرف عن كثب على كفاءة هذا الجيش وصلابته القتالية. وقد أثارت هذه المشاركة مخاوف لدى العثمانيين، الذين بدأوا يستشعرون أن هذه القوة العسكرية المحلية، التي أظهرت قدرات تنظيمية وقتالية معتبرة، قد تُوظف في المستقبل ضد مصالحهم إن حدث أي تصدع في التحالف القائم[4].

3-مرحلة التوتر والصراع

بعد مغادرة حسن بن خير الدين الجزائر، تولّى صالح رايس الحكم بين سنتي 959هـ / 1552م و965هـ / 1556م، وقد تميزت هذه المرحلة عن سابقتها بكونها لم تكن فترة حرب مفتوحة ولا زمن سلم مستقر، بل طبعها التذبذب في العلاقات بين السلطة العثمانية وسلاطين بني عباس. وقد انتهجت الإدارة التركية في تعاملها مع هؤلاء السلاطين أسلوبين متباينين:

[1] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 126.

[2] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص 75

[3] مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 388.

[4] المصدر نفسه، ص 386.

أولهما قائم على التودد والتقرب عبر المعاملة الحسنة وبناء جسور التعاون، في حين تمثل الثاني في اللجوء إلى القوة العسكرية والمواجهة المباشرة بهدف إخضاعهم وتعزيز سلطة الباب العالي في المناطق الداخلية [1].

استمرت العلاقات الطيبة بين خير الدين باشا وسلطان بني عباس عبد العزيز إلى غاية مغادرة خير الدين لإيالة الجزائر نحو إسطنبول سنة 1530م، وذلك استجابةً لدعوة السلطان العثماني لتولي مهام قيادة الأسطول البحري العثماني. وبعد رحيله، عُيِّن حسن آغا خلفًا له وقد حرص بدوره على الحفاظ على علاقات الود والتحالف التي أسّسها سلفه مع الأسرة العباسية في الجزائر، إدراكًا منه لأهمية هذا التحالف في ترسيخ النفوذ العثماني في المنطقة [2]، من خلال اعترافه لسلطان عبد العزيز أميرا على قلعة بني عباس[3]، وبالمقابل ساعده هذا الأخير حسين أغا في حملته التي وجهها لإخضاع تلمسان في 1542م[4].

خلال فترة حكمه الأولى، كلّف حسن آغا حليفه عبد العزيز، سلطان بني عباس، بمهمة القضاء على ابن القاضي الذي ظل خصمًا بارزًا للعثمانيين. كما شارك عبد العزيز بدعمه للسلطة العثمانية في حملتها التأديبية على المغرب سنة 1550م. وبعد مغادرة حسن باشا الجزائر، تولّى صالح رايس الحكم سنة 1552م، حيث كان من أبرز إنجازاته تصديه لتمرد سكان الجنوب في نواحي تقرت وورقلة، مستعينًا مرة أخرى بحليفه عبد العزيز. إلا أن الخلاف دبّ بين الرجلين خلال رحلة العودة، وذلك بسبب استياء عبد العزيز من قلة نصيبه من الغنائم وشعوره بالإقصاء من قبل صالح رايس. وعندما أدرك الأخير نية عبد العزيز في التمرد، لجأ إلى الحيلة، فاستدعاه إلى الجزائر مُظهرًا الأمان، ثم غدر به وزجّ به في قصر الجنينة[5]، لكن عبد العزيز تمكن من الهروب واتجه مباشرة الى الجبال[6].

[1] نبيل بومولة، المرجع السابق، ص 106.

[2] مليكة مكاس، المرجع السابق، ص 153

[3] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 84

[4] صالح عباد، المرجع السابق، ص 70

[5] ألثر سامح، المرجع السابق، ص 185.

[6] صالح عباد، المرجع السابق، ص 75.

ومن هنا بدأت أولى بوادر العداء بين صالح رايس وسلاطين بني عباس، فبعد أن تمكن عبد العزيز من مغادرة قصر الجنينة وعودته إلى الجبال، أعلن التمرد ورفع السلاح ضد السلطة العثمانية. ودارت بين الطرفين معركة حاسمة عند سفح جبل البوني، تكبّد فيها العثمانيون هزيمة واضحة، غير أن هذا النصر لم يخلُ من خسائر بالنسبة لعبد العزيز، إذ سقط أخوه سيدي فضال قتيلًا خلال المواجهة.[1]

وفي أعقاب الهزيمة التي لحقت بالجيش العثماني عند سفح جبل البوني، أظهر صالح رايس إصرارًا شديدًا على الثأر من عبد العزيز، فعمل على الإعداد لحملة عسكرية جديدة سنة 1554م، أوكل قيادتها إلى رمضان باشا، في محاولة لاستعادة هيبة السلطة العثمانية في المنطقة وكسر شوكة إمارة بني عباس [2]، وبوصول الخبر لأمير بني عباس قرر مقابلتهم ووقعت معركة وانهزم الأتراك مرة ثانية وقتلوا جميعا و بقي على رأسهم سوى رئيسهم.

بوفاة صالح رايس في تلك الأثناء خلفه حسن باشا، إذا كانت بين الرجلين صداقة قديمة لذلك بادر صاحب الجبل بأن بعث هدايا ثمينة وذلك سعيا لتجديد الصداقة التي كانت بينهما[3].

وبعد عودة حسن، ابن خير الدين، إلى الجزائر، قام الأمير عبد العزيز بشن هجوم على الحاميات التركية في منطقة مجامع، مُلحقًا بها خسائر جسيمة. وقد دفعت هذه التطورات حسن باشا إلى قيادة حملة عسكرية مضادة، انتهت باندلاع معركة بين الطرفين، أسفرت عن مقتل عبد العزيز. وقد أقدم العثمانيون بعد ذلك على قطع رأسه، في إشارة واضحة إلى نهاية تحالف دام طويلًا وتحول إلى صراع دموي[4].

بعد وفاة عبد العزيز خلفه أخوه احمد مقران[5]، كان لأحمد المقراني إسهامات بارزة في تدعيم السلطة العثمانية في الجزائر، لاسيما خلال عودة حسن باشا لتولي ولاية الحكم سنة 1562م. ففي تلك السنة، قاد حسن باشا حملة عسكرية ثانية على مدينة وهران، وكان جيشه

[1] مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 387

[2] نسيمة بودية، المرجع السابق، ص 61.

[3] مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 388

[4] نسيمة بودية، المرجع السابق، ص ص 61-62.

[5] صالح عباد، المرجع السابق، ص 86

يتكوّن من حوالي 30 ألف مقاتل، من بينهم 12 ألف جندي من قوات أحمد المقراني. وقد كادت الحملة أن تُحقق انتصارًا حاسمًا لولا التدخل الإسباني الذي دعم حامية وهران وأفشل مساعي العثمانيين[1].

مع تعيين علج علي على رأس إيالة الجزائر سنة 1568م، شهدت العلاقات بين سلطات الإيالة وسلاطين بني عباس تحولًا في طابعها، حيث سادها التوتر طوال فترة حكمه التي امتدت لست سنوات. وفي سبتمبر 1580م، استقبل أحد أبناء أحمد المقراني، علي جعفر باشا ثاني خلفاء علج علي في حكم الجزائر، حيث رحّب به وقدم له هدية ثمينة. وخلال تلك الفترة، اعتاد حكام بني عباس تقديم الهدايا للباشوات الجدد عند تعيينهم، في إطار سياسة التودد والحفاظ على العلاقات. غير أن هذه العلاقات بدأت تشهد توترًا جديدًا بعد تعيين لخضر باشا رغم حرصه على استمرار التعاون، إذ طالب بجمع الضرائب من جميع التابعين للإيالة، وهو ما رفضه سلاطين بني عباس، مما تسبب في تجدد الصراع بين الجانبين[2].

شنّ لخضر باشا حملة عسكرية على السلطان أحمد مقران، الذي كان قد استغل فترة الهدوء والسلم لتوسيع نفوذ أسلافه. واستمرت المواجهات بين الطرفين لمدة شهرين، من ديسمبر 1590م إلى جانفي 1591م، وانتهت هذه الحملة بقيام أحمد مقران بتخريب القلعة، مع بقاء حالة الحرب قائمة بين الطرفين. وتدخل أحد شيوخ الزوايا من قبائل المنطقة للوساطة بين الجانبين، ما أدى إلى توقيع اتفاق صلح، شُرط فيه على حاكم بني عباس دفع غرامة مالية غير أن هذا الاتفاق لم يدم طويلًا، إذ تجدد النزاع مرة أخرى بعد عامين، أي في سنة 1592م.[3]

في سنة 1596م، قام مصطفى باشا بقمع محاولة الانقلاب التي أطاحت بسلفه، حيث شن حملة شرسة ضد الإنكشاريين العصاة والمتورطين في تلك الفتنة. وقد كلّف أتباعه بمطاردة المعارضين والثوار، وقتلهم فور القبض عليهم. وأمام هذا الوضع الدموي، فرّ عدد من الناجين إلى منطقة بني عباس، حيث طلبوا الحماية والدعم من المقرانيين[4].

[1] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق ص 93

[2] ديهية دموش، المرجع السابق، ص 66

[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص ص 90-108

[4] أمال جعدي، المرجع السابق، ص 87.

شهدت مدينة الجزائر خلال سنة 1598م اضطرابات سياسية متتالية، نتيجة الصراعات المرتبطة بتعيين الباشوات وعزلهم، وهو ما أضعف السلطة المركزية وأدى إلى حالة من عدم الاستقرار. وقد استغل أحمد أمقران هذا الوضع، فقاد حملة عسكرية انتهت بمساندته لبعض سكان المدينة وتمكنه من اقتحام أسوار باب عزون، حيث استمر في احتلاله لمدة أحد عشر يومًا [1].

في مطلع القرن السابع عشر، وضع سليمان باشا خطة لإخضاع بني عباس، حيث أشرف على حملة عسكرية ضخمة ضمت سبعين سفينة وما يقارب عشرة آلاف جندي. وما إن بلغ الخبر إلى أحمد أمقران، حتى بادر إلى الاستعداد للمواجهة. وقد التقى الجيشان في نواحي سهل حمزة والساحل الجزائري، وانتهت المعركة بتفوق قوات بني عباس، غير أن هذه الانتصارات تزامنت مع وفاة الأمير أحمد أمقران في منطقة جمعة الصهاريج[2].

وبعد وفاة أحمد أمقران حل مكانه ابنه سي ناصر[3]، واصل خليفة أحمد أمقران، ابنه سي ناصر، نهج السياسة العدائية ذاتها تجاه العثمانيين، غير أنه لقي حتفه في معركة ضدهم سنة 1624م. وقد أعقب مقتله انقسام داخل الأسرة الحاكمة، ليحل محله ابنه 'بتكة'، الذي قاد بدوره ثورة ضد الأتراك سنة 1638م، مكّنت بني عباس من استرجاع مقاطعة قسنطينة واستقلالها مؤقتًا عن الحكم العثماني. وتميّز عهد بتكة بتخليه عن الألقاب التقليدية مثل "السلطان" و"الأمير"، مفضلًا لقب 'شيخ مجانة'. وبعد وفاته سنة 1686م، تولّى الحكم ابنه البكر بوزيد المقراني، الذي خاض مواجهات ضد الأتراك مرتين. وبفضل انتصاراته، استطاع فرض إتاوة تُدفع من قبل العثمانيين عند عبورهم قلعة بني عباس، وقد استمرت هذه الممارسة حتى الاحتلال الفرنسي سنة 1830م. ومع نهاية القرن الثامن عشر، بدأت الأسرة المقرانية في الانقسام إلى عدة فروع، خاصة بعد وفاة بوزيد المقراني سنة 1783م.

وعلى الرغم من تعدد الصراعات بين إيالة الجزائر العثمانية وسلاطين بني عباس، فقد اتسمت العلاقات بين الطرفين بالتذبذب، حيث شهدت فترات تعاون وأخرى من العداء

[1] ديهية دموش، المرجع السابق، ص 67.

[2] عبد الرحمان الجيلالي المرجع السابق، ص 116.

[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص 108.

والمواجهة. ففي بعض المحطات، قدم آل مقرّان خدمات جليلة للسلطة العثمانية، لا سيما في المجال الديني والروحي، إذ أيدوا السلطة الروحية وساهموا في إخماد ثورة ابن الأحوش سنة 1807م. كما شارك الزعيم أحمد بن بوزيد المقراني في صفوف المقاومة الجزائرية إلى جانب أحمد باي، في التصدي للحملة الفرنسية[1].

[1] ديهية دموش، المرجع السابق، ص ص 67-68.

الخاتمة

الخاتمة:

إن دراسة العلاقة بين الإيالة العثمانية وإمارتي كوكو وبني عباس خلال الفترة الحديثة تكشف عن شبكة معقدة من التفاعلات السياسية والعسكرية والاجتماعية، عكست طبيعة الحكم العثماني في الجزائر، الذي تميز بعدم المركزية والمرونة السياسية في التعامل مع القوى المحلية. ويمكن تلخيص أهم النتائج التي أفرزتها هذه الدراسة كما يلي:

-أهمية الموقع الجغرافي لإمارات الداخل :لعبت الطبيعة الجغرافية الجبلية والمعقدة دورًا أساسيًا في تأمين نوع من الحماية للإمارات المحلية، ما جعل من العسير على السلطة العثمانية إخضاعها بالقوة المباشرة.

-تعدد آليات التعامل العثماني مع الإمارات :لم تعتمد السلطة العثمانية على أسلوب واحد في علاقتها مع إمارات الداخل، بل اتبعت سياسة مزدوجة جمعت بين التودد والتحالف حينًا، والعنف والحملات العسكرية حينًا آخر.

-التحالف الاستراتيجي بين العثمانيين والمرابطين :تمكّن العثمانيون من استمالة شيوخ الزوايا والمرابطين، مستغلين مكانتهم الروحية والاجتماعية لفرض السيطرة غير المباشرة على القبائل.

-العلاقة المتذبذبة مع إمارة كوكو :مرت العلاقة بين العثمانيين وآل القاضي بمراحل مختلفة، بدأت بالتحالف والدعم العسكري ضد الإسبان، ثم تحوّلت إلى صراع مسلح نتيجة الطموحات الانفصالية لحكام الإمارة.

-الدور المحوري لإمارة بني عباس :مثلت إمارة بني عباس قوة محلية فاعلة، ساهمت في التصدي للوجود الإسباني، ونسجت تحالفات ظرفية مع السلطة العثمانية، لكنها لم تتردد في التمرد عند المساس بسيادتها أو مصالحها الاقتصادية والسياسية.

-استخدام المصاهرة كأداة سياسية :عمد العثمانيون إلى توطيد علاقاتهم مع الزعماء المحليين من خلال المصاهرة، كما فعل حسن باشا حين تزوج من آل القاضي، في محاولة لاستمالتهم وإدماجهم في النظام العثماني.

-التداخل بين السلطة الدينية والزمنية :تبيّن أن العديد من الزعماء المحليين جمعوا بين القيادة السياسية والروحية، ما عزز مكانتهم لدى الأهالي، وصعّب مهمة الإيالة في إخضاعهم كليًا.

-طابع اللامركزية في حكم الجزائر العثمانية :لم تكن الإيالة قادرة على فرض نفوذها على كامل التراب الجزائري، بل اكتفت أحيانًا بالتعامل مع القوى المحلية وفق نظام شبه فيدرالي غير معلن، يتيح لهم الاستقلال في مقابل الولاء الشكلي ودفع الضرائب.

-تأثير الصراعات الداخلية على استقرار الإمارات :عرفت إمارتا كوكو وبني عباس عدة انقسامات وصراعات أسرية أضعفت بنيتهما الداخلية وسهّلت التدخل العثماني.

-الاستفادة المتبادلة بين الطرفين :رغم التوترات، فإن العثمانيين استفادوا من دعم الإمارات في الحملات ضد الإسبان، بينما استفادت الإمارات من الدعم العسكري والسياسي للحفاظ على توازنها أمام خصومها المحليين.

-تحول زعماء الإمارات إلى لاعبين إقليميين :لم يكتف بعض حكام كوكو وبني عباس بالدور المحلي، بل سعوا إلى مدّ نفوذهم على مناطق أوسع والدخول في صراعات دولية (مثل مراسلة الإسبان طلبًا للتحالف).

-الإسهام في البحرية والجيوش العثمانية :ساهمت القبائل التابعة للإمارات، وخاصة الزواوة، في تشكيل النواة البشرية للقوات البحرية والبرية العثمانية، بفضل شجاعتهم وتحملهم للظروف الصعبة.

-تغير ميزان القوى خلال القرن 17 و18م :شهدت هذه الفترة تقلص نفوذ إمارة كوكو تدريجيًا لصالح الأتراك، بينما واصلت بني عباس المقاومة بشكل متفاوت إلى غاية الاحتلال الفرنسي.

-استمرار النفوذ المحلي حتى أواخر العهد العثماني :رغم محاولات الإيالة فرض السيطرة، ظلّ لزعماء إمارات الداخل نفوذ معتبر، وهو ما ظهر في استمرار تحصيل الضرائب والامتيازات حتى عشية دخول فرنسا.

وبناءً على ما سبق، نستنتج أن العلاقات بين الإيالة العثمانية وإمارتي كوكو وبني عباس لم تكن ثابتة أو أحادية الاتجاه، بل تميزت بالتغير الدائم والتفاعل المستمر، بما يعكس الطابع الخاص لتاريخ الجزائر في العهد العثماني، والذي مزج بين الحكم المركزي والتحالفات القبلية، وبين الدين والسياسة، وبين المقاومة والاندماج.

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة تبين منطقة زواوة [1]

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 318.

الملحق رقم 2: خريطة التقسيم الإداري للجزائر أثناء العهد العثماني[1]

[1] نبيل بومولة، المرجع السابق، ص 144.

الملحق رقم 03: خريطة تبين الموقع الجغرافي لموقع كوكو[1]

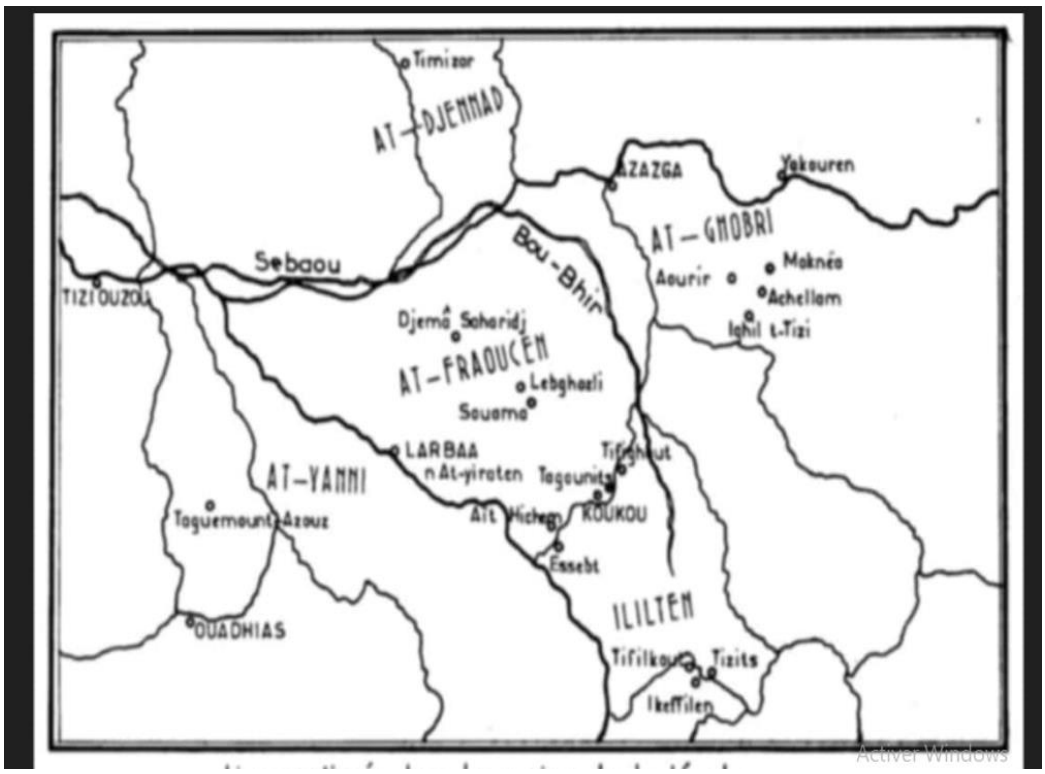

[1] (H) genvois legend des rois de koukou fechier periodique N 121 1974

الملحق رقم 04: خريطة تبين الموقع الجغرافي لإمارة بني عباس[1]

[1] نبيل بومولة، المرجع السابق، ص 138.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1-ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المجلد 6، مر: سهيل زكور، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000.

2-الغبريني أبو العباس أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نوهض، ط2، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1979.

3-الورثلاني حسن بن محمد، الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فصل علم التاريخ والأخبار، مجلد 1، مكتب الثقافة الدينية، القاهرة.

4-الوزان حسن، وصف افريقيا، ج2، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، بيروت، لبنان

5-بربروس خير الدين، مذكرات خير الدين، ط1، تر: محمد دراج، شركة الأصالة الجزائرية، الجزائر، 1431هـ-2010.

6-خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تح، تق: محمد العربي الزبيري، بيروت، 1972.

7-كربخال مارمول، افريقيا، د.ط، ج2، تر: عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، دار النشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1989.

ثانيا: المراجع

1-ابن شيخ آث ملويا حسين، التعريف بالأمازيغ وأصولهم، ط1، دار الخلدونية، الجزائر، 2007.

2-ابن أشنهو عبد الحميد ابن زيان، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، مكتبة جواد، الجزائر، 1972.

3-الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، مكتبة الحياة، بيروت، 1965.

4-الخطيب مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

5-العسالي بسام، خير دين بربروس والجهاد في البحر 1476-1547، ط1 دار النفائس، بيروت، 1980.

6-العسالي بسام، محمد المقراني ثورة 1871، ط3، دار النفائس لطباعة والنشر والتوزيع، لبان، 1990.

7-العيدودي صارة، نبيل عبادية، النظام العسكري العثماني في الجزائر (1518-1830م)، قسم العلوم الإنسانية، جامعة تبسة، 2007.

8-المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792)، عالم المعرفة لنشر، الجزائر، 2010

9-الميلي مبارك بن محمد الهلالي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية لنشر، الجزائر.

10-بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، د.م، ج، ط2، ج2.

11-جوليان شارل أندري، تاريخ افريقيا الشمالية تونس الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م تع: محمد مزالي البشير بن سلامة ج2، ط2، الدار التونسية للنشر تونس 1983.

12-دراج محمد، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543م، دار الأصالة للنشر والتوزيع، ط1، 2012.

13-زواوي أبو يعلى، تاريخ زواوة، مراجعة وتعليق سهيل خالدي، منشورات وزارة الثقافة الجزائر، ط1، 2005.

14-ساحي أحمد، الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو 1512م-1767م، دار الأمل، المدينة الجديدة، تيزي وزو، 2015.

15-سامح ألثر عبد العزيز، الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989.

16-سبنسر وليام ، الجزائر في عهد رياس البحر، تر، عبد القادر زيايدية، دار القصبة للنشر، حي السعيد حمدين، الجزائر، 2006.

17-سعد الله أبو قاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ج1.

18-سعيدوني ناصر الدين، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، ط 2، البصائر للنشر والتوزيع.

19-سعيدوني ناصر دين، ورقات جزائرية وأبحاث والدراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط1، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، 2000.

20-شارل فيرو، تاريخ جيجلي، تر: عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.

21-شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وتفاعلاته في العهد العثماني، دار الكتاب العربي للطباعة 2009.

22-عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1516م-1830م، دار الهومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

23-عمورة عمار ، الجزائر بوابة التاريخ الجزائر عامة ما قبل التاريخ 1962، ج1، دار المعرفة للنشر والتوزيع، باب الزوار الجزائر،

24-غطاس عائشة وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

25-فكاير عبد القادر، الغزو الاسباني في السواحل الجزائرية وأثاره 910هـ-1206هـ/1505م-1792م، دراسة تتناول الأثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية عن الجزائر، دار هومة لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

26-فرج محمد صغير، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954، تع: موسى زمولي، منشورات تالة، الجزائر، 2007.

27-معاشي جميلة، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ-16م إلى 16هـ-19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015.
28-مؤلف مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، رح، وثق: ودع عبد الله حمادي، المكتبة الجزائرية دار القصبة للنشر.

ثالثا: المراجع الأجنبية

1-(H) genvois legend des rois de koukou fechier periodique N 121 1974

2-Pierre Boyer، l'Espagne et koukou: les négociations de 1589-1610، in revue de l'occident musulman et de méditerranée ، 2ème trimestre 1970، N°08 publié avec le concours du Cnrs، Aix en provence ،

رابعا: المجلات

1-بن الشيخ علي، نشأة مملكة كوكو وتطورها السياسي والعسكري والاقتصادي ما بين القرنين 16-18، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة بجاية، العدد 11-12، مارس 2016،
2-بن رمضان أحمد، زواوة من عهد الفنقيين إلى ما بعد الفتوحات الإسلامية، مجلة الحكمة، العدد 8، الجزائر، ديسمبر، 2016،
3-جوامع سالم، آل بربروس وآل القاضي بين التحالف والصراع خلال القرن 16، مجلة الأنثروبلوجية الأديان، المجلد 16، العدد2، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2020.

4-درواز عبد الحميد، التحصينات في قلعة بني عباس ببجاية ما بين القرنين 16هـ-19،
5-لخضر بوطبة، علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري أسرة أولاد مقران نموذجا، مجلة رؤئ للدراسات المغربية والحضارية، جامعة محمد لمين الدباغين، سطيف 2.

6-مليكة مكاس، قلعة بني عباس إمارة المقرانيين 1500م-1600م، مجلة عصور، العدد 26، 2015.

خامسا: المذكرات

1- ابن شيخ علي، مملكة كوكو ونظامها السياسي والعسكري مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم اللغة والثقافة الأمازغية، فرع الحضارة تاريخ، جامعة تيزي وزو، 2017-2018

2- بارودي حنان، سلمة دحموني، إمارة كوكو في العهد العثماني (القرنيين 10ه/16م/11ه/17م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، جامعة النعامة، 2019-2020

3- بن قومار ثريا، الدخول العثماني للجزائر والمواقف المحلية (1514م-1600م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص المغرب العربي الحديث، قسم التاريخ، جامعة غرداية، 2020.

4-بودبية نسيمة، قلعة بني عباس وعلاقتها مع السلطة المركزية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، دولة الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008

5- بوشريط تركية، عائشة بن قيرش، بلاد زواوة خلال العهد العثماني (95-1246ه/1500-1830م) دراسة سياسية، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي والحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة تيارت، 2014-2015

6-جعدي أمال ، أمينة نجار، القوى المحلية وموقفها من إلحاق الدولة العثمانية آل القاضي وبني عباس نموذجا (1510-1587م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة البويرة، 2017-2018.

7-دموش ديهية، لشهد منال، ثنائية الصراع والتحالف بين سلطة إيالة الجزائر وإمارتي كوكو وبني عباس 1587-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة البويرة، 2021-2022.

8-رحموني عبد الجليل، العلاقة بين السلطة المركزية والبايلكات في الجزائر العثمانية 1520-1830، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث المعاصر، قسم العلوم الإنسانية 2019-2020.

9-زدين قاسيمي، قيادة سيباو (1132-1720م/1247-1857م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، 2006-2007.

10-كليل صالح، خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة العقيد حاج لخضر، باتنة، 2006-2007.

11-عزوق عبد الكريم، المعالم الأثرية الإسلامية في بجاية ونواحيها، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007

12-مبارك فهيمة، بلاد الزواواة في ظل الحكم العثماني (1511م 1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في تاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2015-2016-2017.

13-محند أكلي آيت سوكي، تأثير قوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها ومواقفها في مختلف الجوانب الحيائية من القرة 10-13هـ/ 16-19م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006-2007.

14-محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية 1749-1949م، رسالة لنيل الدكتورة في تاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2010-2011.

15-نبيل بومولة، القوى المحلية في منطقة القبائل الشرقية في)10هـ/16م) بني عباس نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009.

الملتقيات

1-أرزقي شويتام، إمارة كوكو 1511، فعليات الملتقى الدولي حول المماليك الأمازيغ في العهد الإسلامي، بسكرة، أيام 21 ديسمبر 2010، المحافظة السامية الأمازيغية، 2011.1-

الفهرس

فهرس المحتويات	
بسملة	
شكر	
إهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	1
الفصل التمهيدي: أوضاع الجزائر قبل الدخول العثماني	5
1-الحالة السياسية للمغرب الأوسط قبل الدخول العثماني	5
2-الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية خلال القرن 16	5
3-ظهور آل بربروس ومحالة تحرير سواحل بجاية	6
4-استنجاد أهالي الجزائر بالإخوة بربروس	10
5-إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية	11
الفصل الأول: التعريف ببلاد زواوة الإمارات المحلية (إمارة كوكو وبني عباس).	14
المبحث الأول: التعريف ببلاد زواوة	14
1-أصل التسمية	14
2-نسب بلاد زواوة	15
3-جغرافية زواوة	17

4-التنظيم الإداري لبلاد زواوة	18
المبحث الثاني: التطور التاريخي لإمارة كوكو	21
1-الموقع والأصل	21
2-تأسيس الإمارة وأشهر حكامها	25
المبحث الثالث: التطور التاريخي لإمارة بني عباس	27
1-الموقع والأصل	27
2-تأسيس الإمارة وأشهر حكامها	30
الفصل الثاني: السياسة العثمانية في بلاد زواوة وعلاقتها مع إمارتي كوكو وبني عباس	35
المبحث الأول: استراتجية السلطة العثمانية للتحكم بالمنطقة	35
1-تأسيس الأبراج والحاميات	36
2-إنشاء قبائل المخزن	38
3-الحملات العسكرية	39
4-الاستعانة بالقوى الدينية	40
5-سياسة المصاهرة	42
المبحث الثاني: السلطة العثمانية وعلاقتها بإمارة كوكو	42
1-علاقات التحالف والتعاون	42
2-علاقات النزاعات والحروب	47
المبحث الثالث: السلطة العثمانية وعلاقتها بني عباس	55

1-الاتصالات الأولى بين آل مقران والأتراك	55
2-مرحلة السلم والتعاون	56
3-مرحلة التوتر والصراع	59
الخاتمة	65
الملاحق	69
قائمة المصادر والمراجع	79
الفهرس	87
الملخص	

الملخص

تعالج هذه المذكرة موضوع إمارة كوكو باعتبارها إحدى الكيانات السياسية المحلية التي نشأت في منطقة زواوة (القبائل) خلال العهد العثماني الممتد من القرن 10هـ/16م إلى غاية 13هـ/19م، حيث حاولنا من خلالها تسليط الضوء على نشأة الإمارة وتطورها، والعوامل التي ساهمت في بروزها كقوة محلية متميزة ذات تنظيم سياسي وعسكري خاص بها، بالإضافة إلى دراسة علاقتها بالسلطة العثمانية في الجزائر.

وتندرج تحت هذا الموضوع الإشكالية التالية :**ما طبيعة العلاقة بين إمارة كوكو والسلطة العثمانية في الجزائر؟ وهل يمكن اعتبارها قوة مستقلة أم تابعة؟**

وبالتالي، فإن هذه المذكرة تُعالج فترة حساسة من تاريخ الجزائر العثمانية عامة، والتاريخ المحلي لمنطقة القبائل خاصة، بهدف إبراز خصوصية الكيانات السياسية

This thesis addresses the topic of the Kingdom of Koukou, one of the local political entities that emerged in the region of Zwawa (Kabylia) during the Ottoman period, spanning from the 10th AH / 16th CE century to the 13th AH / 19th CE century. It aims to shed light on the emergence and development of this emirate, the factors behind its rise as a prominent local power with a distinct political and military structure, and its relationship with the Ottoman authority in Algeria.

This topic falls under the following central question:
What was the nature of the relationship between the Kingdom of Koukou and the Ottoman authority in Algeria? Can it be considered an independent power or a subordinate one?

Accordingly, this thesis explores a crucial period in the general history of Ottoman Algeria and the local history of the Kabylia region in particular. Its aim is to highlight the uniqueness of local political entities, their methods of governance, and how they interacted with the Ottoman state—contributing to a deeper understanding of the structure of authority in Algeria during that era.